الآليات المنهجية لأبي السعود أفندي لاجتناب الإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم

بقلم
د. آسيا شكيرب (*)

ملخص

لجأ كثير من المفسرين إلى الاستعانة بالإسرائيليات لشرح النصوص القصصية، فانتشرت الروايات اليهودية التي تتقاطع مع بعض القصص القرآني بعد البعثة النبوية نتيجة التواجد اليهودي في المدينة المنورة، مما أدى إلى ذيوعها وتداولها على نطاق واسع، فأثر ذلك على مناهج بعض التفاسير التي استندت على الروايات الإسرائيلية، فاستعانوا بها للكلام عن نسب الأنبياء وحياتهم وأوضاعهم التاريخية والاجتماعية والدينية. وقد تميز أبو السعود أفندي أحد رواد المدرسة العثمانية بالاحتكام إلى منهج دقيق وآليات عديدة في تفسير قصص الأنبياء، ابتعد فيه عن اجترار وتكرار القصص التوراتية في التفسير. فإلى أي مدى استطاع أبو السعود التخلص من التراث التوراتي في تفسيره للقرآن الكريم؟ وما هي آلياته المنهجية لتجنب الإسرائيليات في تفسيره" إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"؟

يهدف هذا البحث إلى التعريف بشخصية علمية تركت بصمتها في علم التفسير، إضافة إلى معرفة آلياتها المنهجية في اجتناب الروايات اليهودية الإسرائيلية في تفسير

(*) أستاذ محاضر "أ" في مقارنة الأديان، مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة. cheki4as@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/10/20 تاريخ القبول: 2019/01/08

النصوص القرآنية وخاصة القصص القرآني؛ وكان لأبي السعود منهجين في اجتناب الإسرائيليات؛ فقد اجتنبها مطلقا، واستند إلى العديد من الآليات خلافا لغيره من المفسرين الذين ركزوا على الكثير من القصص الإسرائيلي في التفسير؛ كما اجتنبها بشكل نسبي في عدد محدود من الآيات القرآنية، فانتقى بعض القصص التي لا تمس بجوهر الدين ولا عصمة الأنبياء.

الكلمات المفتاحية:

أبو السعود أفندي؛ الإسرائيليات؛ التفسير؛ الآليات المنهجية؛ القرآن.

مقدّمة

يعتبر علم التفسير نافذة علمية للكشف عن معاني القرآن الكريم وأبعاده المختلفة، ونظرا لورود العديد من الآيات القرآنية التي تتناول قصص الأنبياء، لجأ الكثير من المفسرين إلى الاستعانة بالإسرائيليات لشرح النصوص القصصية، وقد انتشرت الروايات اليهودية التي تتقاطع مع بعض القصص القرآني بعد البعثة النبوية نتيجة التواجد اليهودي في المدينة المنورة، مما أدّى إلى ذيوعها وتداولها، فأثر ذلك على مناهج بعض التفاسير التي استندت على الروايات الإسرائيلية في تفسير قصص الأنبياء فاستعانوا بها للكلام عن نسب الأنبياء وحياتهم وأوضاعهم التاريخية والاجتماعية والدينية؛ وقد تميز أبو السعود أفندي أحد رواد المدرسة العثمانية في التفسير بالاحتكام إلى منهج دقيق وآليات عديدة في تفسير قصص الأنبياء، ابتعد فيه عن اجترار وتكرار القصص التوراتية في التفسير.

الإشكالية:

إلى أي مدى استطاع أبو السعود التخلص من التراث التوراتي في تفسيره للقرآن الكريم؟ وما هي آلياته المنهجية لتجنب الإسرائيليات في تفسيره **"إرشاد العقل السليم**

إلى مزايا القرآن الكريم "؟

المنهج:

بغرض تفكيك أطراف هذه الإشكالية قمنا باستخدام المنهج التحليلي الذي يعمد إلى تفكيك الأفكار وإعادة بنائها وفق منطق يضمن فهم أبعادها المختلفة، كما استعننا بالمنهج الاستقرائي لجمع جزئيات الموضوع المختلفة سواء من تفسير أبي السعود أو من خلال المصادر العلمية الأخرى، بغية الوصول إلى نتائج علمية ومنهجية.

الأهداف:

إن الغرض من هذا البحث فتح زاوية علمية لم تدرس من قبل على حد اطلاعنا، فلم نعثر على بحث علمي أو أكاديمي، تناول الإسرائيليات عند أبي السعود، ولا شك أن المدرسة العثمانية في التفسير زاخرة بنماذج تفسيرية مختلفة، أردنا أن نعرّج على شخصية علمية تركت بصمتها في علم التفسير لنتعرف على آلياتها المنهجية في اجتناب الروايات اليهودية الإسرائيلية في تفسير النصوص القرآنية وخاصة القصص القرآني.

خطة البحث:

قسمنا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: مقاربة تعريفية ومفاهيمية.

المطلب الأول: التعريف بأبي السعود أفندي وتفسيره

أولا: نبذة عن حياة أبي السعود أفندي.

ثانيا: تفسيره ومنهجه العام في التفسير.

المطلب الثاني: مقاربة مفاهيمية للإسرائيليات وللتفسير.

أولا: مقاربة مفاهيمية للتفسير.

ثانيا: مقاربة مفاهيمية للإسرائيليات.

المبحث الثاني: منهج أبي السعود أفندي في التعامل مع الإسرائيليات

المطلب الأول: الاجتناب المطلق للإسرائيليات في التفسير وآلياته.

أولا: اجتناب الإسرائيليات بالاجتهاد في التفسير.

ثانيا: نقد القصص الإسرائيلي والدعوة لاجتنابه.

المطلب الثاني: الاجتناب النسبي للإسرائيليات في التفسير وآلياته.

أولا: آليات ترجيح الروايات الإسرائيلية.

ثانيا: ضوابط وقيود انتقاء القصص الإسرائيلي.

خاتمة.

المبحث الأول: مقاربة تعريفية ومفاهيمية.

فضلنا تقديم مقاربة تأسيسية، توضح لنا الموضوع أكثر من حيث التعريف بالشخصية المركزية في البحث، وبكتاب " إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم"، والذي هو المادة المصدرية الرئيسية، كما قدمنا مقاربة منهجية توضح لنا الأسس العامة لمنهج أبي السعود في تفسيره؛ وحاولنا الولوج للمفهوم المركزي في البحث، وهو الإسرائيليات، ورأينا أن هذا المصطلح يحتاج لبعض التوضيح التاريخي والمعرفي؛ وكان لنا وقفة مع مصطلح أساسي أيضا وهو التفسير، وحاولنا الإحاطة ببعض جوانبه التي توضح جوانب بحثنا وملابساته المختلفة. وقسمنا المبحث الأول إلى مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بأبي السعود أفندي وتفسيره

أولا: نبذة عن حياة أبي السعود أفندي.

1.اسمه:

هو محمد بن محمد مصطفى العمادي[1]، وذكر أيضا أنه محمد بن محي الدين محمد العمادي[2]؛ الشهير بأبي السعود أفندي، وقد اجتهد الباحث عصام محمد علي عبد

الحفيظ عدوان في تركيب اسمه من خلال مصادر تاريخية مختلفة وذكر أنه محمد محي الدين محمد بن مصطفى العماد.[3] ويقولإسماعيل بن محمد البغدادي هو " أبو السُّعُود العمادي مُحَمَّد (ثمَّ تحقق أن اسْمه أَحْمَد) بن محيى الدَّين مُحَمَّد بن مصطفى الإسكليبي العمادي "[4]

2.مولده:

تذكر بعض المصادر أن أبا السعود أفندي ولد سنة 900 هجرية[5]. ويقولإسماعيل بن محمد البغدادي:"شيخ الإسلام أبو السُّعُود الرُّومِي الْفَقِيه الْحَنَفِيّ ولد سنة 896هـ"[6] ويوافقه في هذا التاريخ العيدروسي[7]؛ أما طاشكبري زادة الذي عايش أبا السعود فيذكر أنه ولد سنة 898ه [8]؛ إذ يقول: " ولد رحمه الله سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية المحمية من خواص أوقاف الزاوية التي بناها السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان"[9]؛ وبينما لم يحدد اسم القرية التي ولد بها، تذكر بعض المصادر أنه ولد في قرية أسكليب وهي قرية قريبة من القسطنطينية، جاء في كتاب **الفوائد البهية في تراجم الحنفية** " الشيخ الإمام والحبر الهمام العلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى بن عماد الأسكليبي نسبة إلى أسكليب قصبة من نواحي الروم "[10].

3.نشأته:

نشأ أبو السعود في بيت علم وأخلاق وصلاح، "ووالدته بنت أخي العلامة مَوْلَانَا عَلَاء الدّين عَليّ القوشجي وَكَانَ وَالِده من أهل الْعلم وَالصَّلَاح "[11]، وكان أبوه محي الدين كما ذكر طاش كبري زادة رجل علم "جمع بين الشريعة والطريقة مع التضلع من العلوم الرسمية بالحقيقة ... وقد مهد له في مهده الصواب وسخر له أبيات الخطاب وتربى في حجر العلم حتى رباه وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحبا ولا زال يخدم العلوم الشريفة حتى اشتد ساعده واشتد اتساعه"[12]؛ ويبدو أن والده اعتنى

بتكوين أبي السعود العلمي الذي يقول: " قرأت على والدي الشيخ محي الدين حاشية التجريد للشريف الجرجاني من أول الكتاب إلى آخره مع جميع الحواشي المنقولة عنه، وقد قرأت عليه شرح المفتاح للعلامة المسفور مرتين وشرح المواقف له أيضا بالتمام والكمال."[13]؛ تتلمذ على على يد مؤيد زادة تلميذ جلال الدواني تلميذ السيد الشريف الذي درس له أبو السعود حاشية التجريد وشرح المفتاح، والعلامة قادري جلبي، والمولى سيدي قرماني. وأصبح ملازما للمولى سعدي جبلي (محي الدين محمد بن محمد القوجاوي)، وتلقى على يده العلم.[14]

4.وظائفه:

بعد وفاة والد سنة 920هـ(1515م)، رفض أبو السعود رئاسة الزاوية التي بناها السلطان بايزيد، كما رفض بعض عروض التدريس، وقبل التدريس في مدرسة داوود باشا باسطنبول، ثم عيّن في مدرسة علي باشا بالقسطنطينية سنة (928هـ/1521م)،ثم في سنة (931هـ/1529م) عين في مدرسة بناها الوزير الثاني مصطفى باشا في مدينة غييزة (ككيويزة)؛ وبعد رحلة طويلة في التدريس، بلغ منزلة رفيعة وأصبح أهلا للارتقاء[15] فقد ونال قضاء بروسا ثم صَار قَاضِيا للعسكر بولاية روم ايلي ثمَّ صَار مفتياً بقسطنطينية (952 هـ)[16]لأكثر من ثلاثين سنة وعين له السلطان كل يوم مئتين وخمسين درهما[17]،وصنف فيها التفسير المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وأرسله إلى السلطان سليم فتقبله بقبول حسن وأضاف إلى وظيفته قضاء القسطنطينية وبعد وفاة سليمان خان أكرمه ابنه سليم خان إكراما عظيما.[18]

5.صفاته وعلمه:

يصف طاشكبري زادة أبا السعود بأنه: "طويل القد خفيف العارضين غير متكلف في الطعام واللباس، غير أن فيه نوع من مداهنة واكتراث بمداراة الناس، وفيه الميل الزائد والنعومة إلى أرباب الرياسة بالخطاب والكلام، وكان ذا مهابة عظيمة وتؤدة

جسيمة، قلما يقع في مجالسته للعظام المبادرة بالخطاب والكلام، وكان واسع التقرير سائغ التحرير، يلتقط الدرر من كلمه ويتناثر الجوهر من حكمه .."[19] كما وصف بأنه "شيخ الإسلام[20] و"عالم نحرير لا في العجم له مثيل ولا في العرب له نظير"[21]"، "الإِمَام الْكَبِير عَالم الرومبرع في جَمِيع الْفُنُون وفَاق الأقران"[22]؛ كان حاضر الذهن، سريع البديهة، يتكلّم باللغات العربية والفارسية والتركية، وقد مكنت له معرفته بهذه اللّغات الاطلاع على كثير من المؤلّفات.[23]

أتقن أبو السعود اللغة العربية وآدابها حتى دعي مستعربا، وصاغ العديد من فتاويه بلغة أدبية رائعة، منها النثر وفقا لهيئة السؤال؛ وصاغ الأشعار باللغة العربية والفارسية، وكان له شعر في الشوق والحنين[24]، كما كان مميزا في الفتوى، " كان يجتهد في بعض المسائل ويخرج ويرجح بعض الدّلائل وله في الأصول والفروع قوة كاملة وقدرة شاملة وفضيلة تامة وإحاطة عامة". [25]

6.مؤلفاته:

تعد مصنفات أبي السعود أفندي ليست كثيرة، ويبدو أن اشتغاله بالدرس والفتوى عاقه على كثرة التصنيف، ومن بين أهم مصنفاته: تهافت الأمجاد في فروع الفقه الحنفي، تحفة الطلاب في المناظرة، رسالة في مسائل الوقوف، ميمية وهي قصيدته المشهورة، ثواقب الأقطار في أوائل منار الأنوار في الأصول، بضاعة القاضي في الصكوك، وحاشية على العناية من أول كتاب البيع والهداية، وغيرها من المصنفات[26]. ولعل أجود تصانيفه على الإطلاق تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، وسنتكلم عنه لاحقا.

7.وفاته:

تجمع المصادر التاريخية على أن أبا السعود توفي سنة (982 ه)[27]، يقول نجم الدين

الغزي: "أخبرني شيخنا القاضي محب الدين الحنفي العلامة أن المفتي أبا السعود – رحمه الله تعالى – توفي بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكانت جنازته حافلة، وصلي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملأ عظيم، وجمع كثير، وتقدم للصلاة عليه فخر الموالي سنان، ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة سيدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه"[28]؛ أما العيدروسي فيشذ على الجميع ويذكر أنه توفى بمكة سنة 952هـ.[29]

ثانيا: تفسيره ومنهجه العام في التفسير.

1.تفسير إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم:

رغم اشتغال أبو السعود بالفتوى والقضاء؛ إلا أنه بذل مجهودا معتبرا في تألفيه تفسير "**إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**"، جاء في التاج المكلل والبدر الطالع مانصه: "وله تصانيف، منها :التفسير المشهور عند الناس بأبي السعود في مجلدين ضخمين، سماه:"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وهو من أجلّ التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقا وتدقيقا، وأهداه للسلطان سليمان خان، فأنعم عليه بنعم عظيمة، وزاد في معلومه اليومي زيادة واسعة، وكان قد تناهت عظمته في الممالك الرومية وصار المرجع فيما يتعلق بالعلم"[30]، وقد ابتدأ في كتابته" ولما بلغ تسويده إلى صورة ص وطال به العهد بيضه في شعبان سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة وأرسله إلى السلطان خان مع ابن المعلوم فاستقبل إلى الباب وزاد في وظيفته وتشريفه أضعافا"[31]، ثم تيَّسر له بعد ذلك إتمامه، فأتمه بعد سنة، ثم أرسله إلى السلطان ثانياً بعد إتمامه، فقابله السلطان بمزيد لطفه وإنعامه، وزاد في وظيفته مرة أخرى[32]. والمطالع في تفسيره يجده لا بالطويل المملّ، ولا بالقصير المخل، وسطا مشتملا على لطائف ونكات وفوائد وإشارات[33]، يقول صاحب الأنوار البهية: " وقد طالعت تفسيره وانتفعت به وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل متضمن

لطائف ونكات ومشتمل على فوائد وإشارات. وقال صاحب الكشف انتشرت نسخة في الأقطار ووقع له التلقي بالقبول من الفحول الكبار لحسن سبكه ولطف تعبيره فصار يقال له خطيب المفسرين ومن المعلوم أن تفسير أحد سواه بعد الكشاف والقاضي لم يبلغ إلى ما بلغ من رتبة الاعتبار والاشتهار"[34]

يقع الكتاب في خمسة أجزاء متوسطة الحجم، وقد طبع في مطبعة بولاق الطبعة الأولى سن 1275هـ، ثم أصدرته المطبعة المصرية سنة 1347هـ، أما النسخ المخطوطة فهي 12 نسخة موزعة في أماكن عديدة.[35] يقولمحمد حسين الذهبي : "ولم يظفر هذا التفسير – كغيره من التفاسير – بكثرة الحواشي والتعليقات التي تكشف عن مراده. أو تتعقبه فيبعض ما يقول، ولم يقع تحت يدنا شيء من ذلك. "[36]

2. منهجه في التفسير:

تميز أبو السعود أفندي في تفسيره بمنهج خاص، رغم أنه تأثر ببعض المفسرين، وشكلوا رافدا مهما له، لكنه لم يكن مجترا ولا مكررا لأفكار غيره، بل اجتهد وكانت له شخصيته التفسيرية الخاصة، التي جعلت من تفسيره أحد المصادر التفسيرية المهمة، ولعل من أهم سمات منهجه، والتي سنتناولها بالتفصيل في المبحث الثاني، إقلاله من استعمال القصص التوراتي، بالإضافة إلى مناهج أخرى هي كالتالي:

- **اختيار مصادره:**

تكلم أبو السعود في مقدمة تفسيره عن المشاغل والعوارض التي استطاع في غفلة من الزمن وباختلاس أوقات الفراغ أن يخرج منها تفسيره إلى النور، كما أشاد بجهود من سبقه في تفسير القرآن الكريم، وذكر أهم مصادره،وهما تفسير الكشاف، وأنوار التنزيل للبيضاوي، وذكر أنه قرأهما قبل أن يؤلف تفسيره، إذ يقول: "ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما،

وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار، آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق...من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون، ما تطمئن إليه النفوس، وتقر به العيون، من خفايا الرموز وخبايا الكنوز.. ناوياً أن أسميه عند تمامه، بتوفيق الله وإنعامه "**إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم**"[37].

وقد اعتمد أبو السعود في تفسيره على الكشاف وأنوار التنزيل" وما فيه من إعراب دليل واضح على ذلك، وهو إلى البيضاوي وأسلوبه أقرب، إذ أن نهجه وتكوينه العلمي وثقافته وما تولاه من وظائف تجعله منه قريب الشبه شديد الصلة، وهو يعتمد في العربية على النقل والاختصار كالبيضاوي الذي نقلها من الكشاف، فهما يرجعان إلى أصل واحد" [38]، ويبدو أن أبا السعود جمع بين الأصل والفرع، ولم يلتزم عبارة المنقول عنه، ونجد فيه من الأقوال والتحليل مالا نجده فيهما[39]. ويرى إبراهيم رفيدة أنه من أدلة نقله وتأثره بالبيضاوي " أنا نجد فيه بعض التوجيهات النحوية الضعيفة التي رضيها البيضاوي ولم يذكرها الزمخشري، وأنه ينقل عنه أحيانا نقد القراءات بعبارات مختصرة"[40]؛ لكنه يحسن الأخذ والتوجيه وزيادة الشرح والإيضاح لما يأخذ[41].

- **منهجه في العقيدة:**

رغم أن أبا السعود اعتمد على الكشاف الذي يستدل بمنهج المعتزلة في مسائل العقيدة، ويؤول نصوص الصفات، وخلق أفعال العباد، إلا أن أبا السعود "لم يغتر بما جاء في الكشاف من الاعتزالات. ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السُّنَّة في تفسيرها"[42]؛ وقد اختلف الباحثون في نسبته لأهل السنة والجماعة، قال محمد بن عبد الرحمن المغراوي: "وأما عقيدته في الصفات، فهي على الطريقة المؤولة... تبع الرازي في تصرفه مع الصفات، بل وينقل ترجيحات

الرازي ويقرها"[43]. وينسبه البعض الآخر إلى الأشاعرة أو الماتريدية[44]؛ ونرى أن الباحث ضيق مفهوم أهل السنة والجماعة، ويستحسن توسعة هذا المفهوم.

• منهجه في النحو والقراءات وعرض المسائل الفقهية:

من أهم مميزات تفسير إرشاد العقل السليم خلوه من الاستطرادات والتوسع في ذكر الأحكام الفقهية والنحوية، ويكاد يكون خالصا للتفسير[45]، وهو في الأغلب يعرض لبيان مواقع الكلمات والجمل ويذكر الأوجه المحتملة، ويرجح بعضها ويعلل البعض الآخر[46]، ويؤكد العربي شاوش، تضلع أبي السعود النحوي، ويسوق لذلك عددا من الأمثلة التي ينسب فيها بعض الآراء للبصريين ويردها ويبين أنها ليست صحيحة ويعلل ويوجه أو يردها لأنه ينتج عنها ما يرى فيه تعسفا واضحا[47]؛ وقد عني فيه عناية بالغة بوجوه البلغة وأسرار الإعجاز في القرآن الكريم، ولا سيما في باب الفصل والوصل، ووجوه المناسبات بين الآيات، " ولما كان أبو السعود ليس عربي المربّى، وتغلب عليه الناحية العقلية فقد جاءت عباراته وأساليبه في تفسيره فيها شيء كثير من العمق والدقة اللذين يبدوان في نظر القارئين له لونا من ألوان التعقيد والغموض والإغراب، وقد يذكر المبتدأ، أو الشرط ولا يذكر الخبر، أو جواب الشرط إلا بعد أسطر " [48]؛ ويبدو أنه " كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولوع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، وبخاصة في باب الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والاعتراض والتذييل، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طيَّاتها"[49]؛ والشيء الملاحظ أن أبا السعود قد اهتم في تفسيره كثيراً بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات، كما نلحظ عليه أنه يعرض أحياناً لذكر القراءات، ولكن بقدر ما يوضح به المعنى، ولا يتوسع كما يتوسع غيره[50].

• **الأسس التفسيرية لأبي السعود أفندي:**

ويمكن تلخيص الأسس التفسيرية لأبي السعود أفندي بالتالي:

1- المقام أو السياق.

2- الذوق وهو مقياس ذاتي مكتسب من خلال التضلع في علوم البلاغة والأدب عموما.

3- النظم والجزالة التنزيلية.

4- التاريخ الذي كان وراء تصحيح كثير من المفاهيم.

5- مذهب أصحابه الحنفيين، الذي كان يوجهه أحيانا.

6- موقف أهل السنة والجماعة الذي كان وراء موقفه الإيجابي من الطعون التي كانت تكال للأنبياء والمرسلين عليهم السلام وغيرهم.

7- العقل والنقل: فقد جعل حدودا للعقل يقف عندها أمام النصوص الصريحة أو المعجزات والخوارق وما لا يتحمله العقل، إلا أنه ظل يجتهد من خلال إعمال الرأي.

8- العبرة: غلب على أبي السعود استخلاص العبر من القصص التي يوردها.[51]

عموما يمكن القول أن أبي السعود اتسم في تفسيره بالاعتدال، فحرص على عدم الإيجاز المخل، ولا الإطالة والاستطراد الممل، كما حرص على الاعتناء بأسباب النزول لفهم المراد من الآية، وذكر المناسبات بين الآيات، وجرّد نفسه في أحيان كثيرة من الميل المذهبي، كما اعتنى بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، حتى لا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بصارف، فيقدم الحقيقة الشرعية على اللغوية؛ كما اهتم بمراعاة تأليف الكلام، والغرض الذي سيق له؛ كما ظهر اهتمامه بالمفردات وتحقيق معانيها، فيبدأ بالإعراب إن كان خفيا، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد ثم ما استنبط من الآيات من الأحكام والآداب، مع مراعاة القصد فيما ذكر من لغويات، أو نحويات، أو بلاغيات أو أحكام حتى لا يطغى ذلك على

جوهر التفسير.

المطلب الثاني: مقاربة مفاهيمية للتفسير والإسرائيليات

أولا: مقاربة مفاهيمية للتفسير.

1.التعريف اللغوي والاصطلاحي للتفسير.

• **التفسير لغة:** من فسر، الفسر هو البيان. فسر الشيء يفسره وفسره أبانه، والتفسير مثله– وقيل التفسير التأويل والمعنى واحد– وقوله تعالى" :وأحسن تفسيرا" الفسر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"[52]، " الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول... والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر، والتَّفْسِيرُ قد يقال فيما يختصّ بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختصّ بالتأويل، ولهذا يقال: تَفْسِيرُ الرّؤيا وتأويلها. قال تعالى: ﴿ **وأحسن تفسيرا** ﴾ **(الفرقان/ 33)** "[53]

• **التفسير اصطلاحا:** اصطلح علماء التفسير الكثير من الاصطلاحات في تعريفهم للتفسير، وتجتمع جميعها في كون التفسير هو إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، لإفادة المعنى المطلوب، فهو محاولة إزالة الخفاء في دلالة الكلام، فلا بد أن يكون هناك إبهام في وجه اللفظ؛ بحيث ستر وجه المعنى، ويحتاج إلى محاولة واجتهاد بالغ حتى يزول الخفاء ويرتفع الإشكال.[54]

ثانيا: مقاربة مفاهيمية للإسرائيليات.

1.التعريف الاشتقاقي والدلالي للإسرائيليات.

• **التعريف الاشتقاقي:**

لفظ الإسرائيليات، جمع مفردة إسرائيلية، "وهي قصة حادثة تُروَى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: بنو إسرائيل، وقد ورد ذكرهم في القرآن منسوبين إليه في مواضع كثيرة"[55]، منها قوله تعالى: ﴿ **لعن الذين كفروا من بني**

إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾[56]؛ وقد عرّف إسرائيل بكونه: اسم شعب أبناء إسرائيل من نسل يعقوب الذي لقب بإسرائيل؛ وهو كلمة عبرية معناها بطل الله، الذي يحارب من أجل الله كما جاء في سفر التكوين، وعرّف أيضا بأنه كل الشعب المنحدر من يعقوب من الإسرائيليين؛ وأطلق لفظ إسرائيل على مملكة إسرائيل، أو من الأسباط العشرة المتميزة والبارزة في مملكة يهودا، كما أطلق على مملكة يهودا بعد السبي البابلي[57]، أما كلمة إسرائيلي فأطلق على ذرية إسرائيل أو يعقوب، التي سميت أولا عبرانيين، بسبب إبراهيم الذي جاء من L'Eupharate وبعدها سموا باليهود بسبب سبط يهودا الذي ومنذ السبي البابلي شعر أنه أكثر رفعة من غيره من الأسباط.[58]

- **التعريف الاصطلاحي:**

"الإسرائيليات اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه"[59]، ولفظ إسرائيليات وإن كان يدل في ظاهره على القصص الذي يروَى أصلا عن مصادر يهودية، يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يتسع ليشمل "كل ما تطرّق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدّثين فعد من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من يهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها من مصدر قديم"[60]؛ فالإسرائيليات كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحَدثين فعدُّوا من الإسرائيليات ما دسّه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث.

وأطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للّون [61].

– المصادر اليهودية والنصرانية:

يمكن القول أن التراث اليهودي هو ما جاء في التوراة والإنجيل، وأيضا الكتب التفسيرية والتي يسميها اليهود " المدراشيم، والترجوميم" وأيضا التلمود–التوراة الشفهية_، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم، وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهيا من حين إلى أخر، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المصادر إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وإن كان فيها صدق، ففيها كذب صراح، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير، وما في كتب التفسير من المسيحيات، أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات، إذ معظمها في الأخلاق، والوعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب.[62]

– مبدأ انتشار الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية:

كانت الجزيرة العربية أمية يسكنها الأميون، لم يكن بها أي صورة من صور الثقافة والتعليم، وكان المصدر الوحيد لعلومهم هم أهل الكتاب النصارى الذين يقطنون الشام وشمال غرب الجزيرة العربية واليمن والذين يرونهم في رحلاتهم التجارية، وكان بالجزيرة العربية طوائف من اليهود سكنوا يثرب وخيبر؛ وقد تنصر من العرب قسم من القبائل كالغساسنة ولم يتهود من العرب إلا أفراد لأن اليهودية ليست ديانة تبشيرية، فاليهود ليسوا دعاة ويرون أنفسهم أفضل من العرب فهم شعب الله المختار، والعرب يحتقرونهم لأنهم أصحاب مهن ويميلون إلى الدعة. وعندما جاء

الإسلام وتكلم القرآن عن الأنبياء السابقين ومنهم أنبياء بني إسرائيل وتكلم عن النصارى ونبيهم عيسى بن مريم - عليهما السلام-، لم يفصل في القصص والأحداث، بل ذكرها مجملة أحيانا، ومبهمة أحيان أخرى، فكان المسلمون يسألون فيها أهل الكتاب لكونها تخص أنبياءهم وتتكلم عن ديانتهم؛ ومن هنا كان مبدأ دخول الإسرائيليات للتفسير الإسلامي[63].

لقد تساهل الكثير من المفسرين فيما يتعلق بالقصص الإسرائيلية، رغم تحذير البعض الآخر من مغبة الاشتغال بها، فهذا أبو حيان يقول : " ...وَكَذَلِكَ أَيْضًا ذَكَرُوا مَا لَا يَصِحُّ مِنْ أَسْبَابِ نُزُولٍ وَأَحَادِيثَ فِي الْفَضَائِلِ وَحِكَايَاتٍ لَا تُنَاسِبُ وَتَوَارِيخَ إِسْرَائِيلِيَّةٍ، وَلَا يَنْبَغِي ذِكْرُ هَذَا فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ"[64]، لكن هناك عدّة أسباب أدت لانتشار الإسرائيليات، منها اختصار الأسانيد ونقل الأقوال من غير أن تعزى إلى قائلها، من هنا دخل الدخيل أكثر من ذي قبل، والتبس الصحيح بالعليل، " وصار كل من ينسخ له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك من يجيء بعده ضانا أن له أصلا غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح، ومن يرجع إليهم في التفسير." فقد كان حذف الأسانيد مما ساعد على شيوع القصص الإسرائيلي في كتب التفسير، بالإضافة لرواج الروايات الواهية والمختلفة المكذوبة، لأن ذكر الأسانيد كثيرا ما يدل على موضع العلة، ومكمن الداء[65].

أنواع الإسرائيليات: يمكن أن نحدد أنواع الإسرائيليات في العناصر التالية:

الأول: ما علم صحته مما يشهد له ما بأيدينا بالصدق، سواء في الكتاب أو في السنة، وفائدته إقامة الحجة عليهم من كتبهم.

الثاني: ما علمنا بكذبه قطعا، وهو ما يخالف ديننا، وهو مردود تحرم روايته إلا لتفنيده ورده.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذّبه وتجوز حكايته.[66] يقول ابن تيمية :" ما هو مسكوت عنه ... وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا. ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم" .[67]

إن كان متفقا على هذا الكلام من حيث الجملة، إلا أن المفسرين تساهلوا في هذا الشأن فروت كثير من الأباطيل الإسرائيلية في مواطن المنع الشديد من روايتها، وهي ما علم كذبه قطعا، وأخطرها ما يمس بالعقيدة ويقدس الأنبياء وينال من عصمتهم ويقدح في منصب النبوة كقصة صخر المارد التي رواها ابن جرير الطبري ثم تبعه ابن كثير وغيره.[68]

المبحث الثاني

منهج أبي السعود أفندي في التعامل مع الإسرائيليات

من خلال تتبعنا للمنهج العام لأبي السعود أفندي يمكننا القول أنه تجنب الإسرائيليات مطلقا في بعض القصص والتي شاع استخدام الإسرائيليات في تفسيرها لدى غيره من المفسرين؛ كما أنه استعان في بعض القصص بالإسرائيليات لكن حدد لنفسه بعض الضوابط؛ لهذا سنتكلم عن خطواته المنهجية في اجتناب تفسير بعض القصص مطلقا بالإسرائيليات، واستعانته بها في بعض القصص .

المطلب الأول: الاجتناب المطلق للإسرائيليات في التفسير وآلياته

أولا: اجتناب الإسرائيليات بالاجتهاد في التفسير.

اجتنب أبو السعود الكثير من القصص الإسرائيلي الشائع في كتب التفسير

بالارتكاز على تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة المطهرة، وبقدراته التحليلية واللغوية والبلاغية الخاصة، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على إدراكه قواعد وأسس التفسير، فقد تقيد بها وأغلق باب الاستعانة بالقصص الإسرائيلي في جل المواطن التي لجأ فيها الكثير من المفسرين للإسرائيليات باعتبارها المصدر الأساسي في تفسير الأحداث وتوضيح حيثياتها؛ وقد قمنا بقراءة استقرائية لإرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم وتبيّن لنا أن المنهج الغالب هو اجتناب أبي السعود للقصص الإسرائيلي، خاصة إذا مس بالعقيدة وأسسها، أو بعصمة الأنبياء، ويمكن أن نعطي بعض الأمثلة من خلال تفسيره بعض القصص:

- **اجتناب الإسرائيليات في قصة إبراهيم –عليه السلام-.**

يُعرض أبو السعود كل الإعراض عن بعض القصص الإسرائيلي الذي يرويها بعض المفسرين في تفاسيرهم، فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**﴾.[69]

ذكر ابن كثير أن الكثير من المفسرين استعانوا بالقصص الإسرائيلي في تفسيرهم هذه الآية الكريمة حيث قال:" وَمَا يُذْكَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْهُ فِي إِدْخَالِ أَبِيهِ لَهُ فِي السِّرْبِ وَهُوَ رَضِيعٌ، وَأَنَّهُ خَرَجَ بَعْدَ أَيْام فَنَظَرَ إِلَى الْكَوْكَبِ وَالْمَخْلُوقَاتِ فتَبَصَّرَ فِيهَا، وَمَا قَصَّهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ فَعَامَّتُهَا أَحَادِيثُ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[70]؛ وإن عدنا لأبي السعود وجدناه يبتعد عن هذه الإسرائيليات مطلقا ويفسر الآية بأن الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبارِ، الاهتداءُ الكاملُ المستند إلى الهداية الخاصةِ الحاصلةِ بالوحي والاقتدار على إصلاح الأمةِ باستعمال النواميسِ الإلهية وقرىء رَشَدَه وهما لغتان كالحزن والحَزَن (مِن قَبْلُ) أي من قبل إيتاءِ موسى وهارونَ التوراةَ وتقديمُ ذكر إيتائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التامّ وقيل من قبل استنبائِه أو قبلَ بلوغِه ويأباه المقام "وَكُنَّا بِهِ عالمين" أي بأنه أهلٌ لما آتيناه وفيه من الدليل على أنه تعالى عالم

بالجزئيات مختار في أفعاله ما لا يخفى " [71].

ويبدو أن أبا السعود يضع لنفسه ضوابط في التعامل مع القصص الإسرائيلي، فإن كان منه ما يمس بعصمة الأنبياء ابتعد عنه مطلقا، وقد بيّن ابن كثير المنهج الأسلم في الاستعانة بالقصص الإسرائيلي فقال: " فَمَا وَافَقَ مِنْهَا الْحَقَّ، مِمَّا بِأَيْدِينَا عَنِ الْمَعْصُوم، قَبِلْنَاهُ لِمُوَافَقَتِهِ الصَّحِيحَ، وَمَا خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ رَدَدْنَاهُ، وَمَا لَيْسَ فِيهِ مُوَافَقَةٌ وَلَا مُخَالَفَةٌ لَا نُصَدِّقُهُ وَلَا نُكَذِّبُهُ بَلْ نَجْعَلُهُ وَقْفًا، وَمَا كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَلَا حَاصِلَ لَهُ مِمَّا لا ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دِينِهِمْ لَبَيَّنَتْهُ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الْكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ، وَالَّذِي نَسْلُكُهُ فِي هَذَا التَّفْسِيرِ الْإِعْرَاضُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ لِمَا فِيهَا مِنْ تَضْيِيعِ الزَّمَانِ، وَلِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْهَا مِنَ الْكَذِبِ الْمُرَوَّجِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا تَفْرِقَةَ عِنْدَهُمْ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا، كَمَا حَرَّرَهُ الْأَئِمَّةُ الْحُفَّاظُ الْمُتْقِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَالْمَقْصُودُ هَاهُنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدْ آتَى إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ، أَيْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ[72].

الواضح أن أبا السعود انتهج هذه الخطوات المنهجية في تعامله مع القصص الإسرائيلي.

في جزء آخر من قصة إبراهيم عليه السلام يذكر عزّ وجل من حاج إبراهيم فيربه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[73]؛ وقد وجدنا أن العديد من التفاسير حاولت معرفة الشخصية التي حاجت إبراهيم في ربه، فقال ابن كثير أن الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ بملك بابل "نمرود بْنُ كَنْعَانَ بْنِ كُوشِ بْنِ سَامِ بْنِ نوح

ويقال نمرود بن فالخ بن عبار بْنِ شَالِخ بْنِ أَرْفَخْشَذَ بْنِ سَام بْنِ نُوح، وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَمَلَكَ الدُّنْيَا مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ، فَالْمُؤْمِنَانِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ، وَالْكَافِرَانِ: نمرود وبختنصر، والله أَعْلَمُ"[74].

وقد استند على القصص الإسرائيلي؛ وهذا ما نجده لدى الطبري حيث استعان بالقصص الإسرائيلي في تفسيره الآية الكريمة فقال: "هُو نُمْرُوذُ كَانَ بِالْمَوْصِلِ وَالنَّاسُ يَأْتُونَهُ، فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ، فَيَقُولُ: مِيرُوهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ، وَمَعَهُ بَعِيرٌ خَرَجَ يَمْتَارُ بِهِ لِوَلَدِهِ قَالَ: فَعَرَضَهُمْ كُلَّهُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ، فَيَقُولُ: مِيرُوهُمْ حَتَّى عَرَضَ إِبْرَاهِيمَ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، إِنْ شِئْتُ قَتَلْتُكَ فَأَمَتُّكَ، وَإِنْ شِئْتُ اسْتَحْيَيْتُكَ "[75].

ورغم أن تحديد الشخصية المحاجة لإبراهيم عليه السلام لا تمس بعقيدة ولا بعصمة الأنبياء نجد أبا السعود يجتنب الإسرائيليات مطلقا في تفسيره للآية الكريمة فيقول: " استشهادٌ على ما ذكر من أن الكفَرةَ أولياؤُهم الطاغوتُ وتقريرٌ له على طريقة قوله تعالى أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقريرٌ لها وإنما بُدىء بهذا الرعاية الاقترانِ بينه وبين مدلولِه ولاستقلاله بأمر عجيبٍ حقيق بأن يُصدَّر به المقالُ وهو اجتراؤه على المُحاجّة في الله عز وجل وما أتى بها في أثناءها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولأن فيما بعده تعدداً وتفصيلاً يورث تقديمُه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هداية الله تعالى أيضاً بواسطة إبراهيمَ عليه السلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق وإدحاضِ حجةِ الكفار من آثار ولايته تعالى" [76].

يبدو أن أبا السعود يفضل الاجتهاد الشخصي في تحليل الآيات القرآنية استنادا إلى قوته وتمكنه من اللغة العربية وقواعدها، والحقيقة أن إعراض أبي السعود عن

الاستعانة بالقصص الإسرائيلي لم يكن مطلقا في كل تفسيره كما سنعرف في المطلب القادم ، ولهذا نتساءل عن المعيار الذي يحتكم إليه في الاجتناب المطلق للقصص الإسرائيلي؟

يبدو لنا أن مادته المصدرية التي يستند إليها في التفسير، أثرت في منحاه التفسيري المتعلق بالقصص الإسرائيلي، فلو عدنا إلى أهم مصدرين وهما البيضاوي[77] والزمخشري[78] في هذه الآية بالذات، لوجدنا أنهما أعرضا مطلقا عن القصص والإسرائيلي في تفسير هذه الآية، وقد اتضح لنا من خلال البحث أن الزمخشري والبيضاوي مقلان جدا في رواية الاسرائيليات، "والبيضاوي –رحمه الله– مقل جدا من ذكر الإسرائيليات، وهو يصدر الرواية بقوله: روى أو قيل، أشعارا منه بضعفها"[79]. ويذكر محمد حسين الذهبي أيضا أن الزمخشري مقل من ذكر الإسرائيليات، وإن ذكر بعض الروايات الإسرائيلية يصدرها بلفظ روى، المشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة، وإما يفوض عمه إلى الله تعالى، وهذا في الغالب عند ذكره للروايات التي لا يلزم من التصديق بها مساس بالدين، ويلجأ الزمخشري أيضا إلى التنبيه على درجة الرواية ومبلغها من الصحة أو الضعف ولو بطريق الإجمال[80]، ويبدو أن أبا السعود كان مطلعا على مختلف التفاسير، وبالرغم من تأثره بالزمخشري والبيضاوي، إلا أنه استند إلى معاييره ونهجه الخاص.

– اجتناب الإسرائيليات في قصة الذبيح:

﴿وَقالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْناهُ

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ، كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلى إِسْحاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾[81]، روى كثير من المفسرين منهم ابن جرير، والبغوي، وصاحب الدر، في هذه القصة روايات كثيرة عن الصحابة والتابعين وكعب الأحبار: أن الذبيح هو إسحاق. ولم يقف الأمر عند الموقوف على الصحابة والتابعين، بل رفعوا ذلك إلى النبي – صلى الله عليه وسلم- قوله " الذبيح إسحاق" وهو حديث ضعيف ساقط لا يصح الاحتجاج به، ففي رواته متروك، ومنكر الحديث[82]؛ وكل المرويات في أن الذبيح هو إسحاق هي من الإسرائيليات، جاء في التوراة " فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المريا، وأصعده محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك .."[83] والحقيقة أن تحريف هذا النص كان الغرض منه إعطاء الأحقية في الوعد الإلهي لإسحاق وذريته دون إسماعيل – عليهما السلام- ومن المؤسف أن بعض المفسرين أخذوا التوجه التوراتي في شرح الآية الكريمة.

يعلِّقُ عبد الحميد الفراهي على الروايات المختلفة من الصحابة والتابعين والسلف الأولين، والتي جاء بعضها أنَّ إسحاق هو الذبيح بالقول: اعلم أنَّ الروايات في ذلك مختلفةٌ؛ والنظر فيها يدلُّ على ثلاثة أمورٍ: الأوَّلُ أنَّ المسلمين براءٌ من التعصُّب، فلم ينكروا ما رُوِيَ لهم من كون إسحاق عليه السلام هو المفدي. والثاني أنَّ هذه الروايات مأخذها أهلُ الكتاب. والثالث: أنَّ أهل النظر والعلم بالكتاب أيقنوا بأنَّ الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام.[84] وهو في دراسته عن من هو الذبيح جعلها ثلاثة أقساط؛ القسط الأوَّل: في الاستدلال بالتَّوراة وبما اعترف به علماء أهل الكتاب؛ والثاني: في الاستدلال بالقرآن المجيد وحده؛ والثالث أسماه: "في الروايات وأقوال علمائنا رحمهم الله".

ولو عدنا لأبي السعود فقال في تفسير قوله تعالى: "يا بني إِنّى أرى فِى المنام أَنّى "أي

أرى هذه الصُّورة بعينها أو ما هذه عبارتُه وتأويلُه وقيل إنه رأى ليلةَ التَّروِيةِ كأنَّ قائلاً يقول له إنَّ الله يأمُرك بذبح ابنِك هذا فلمَّا أصبحَ رَوَّى في ذلك من الصَّباح إلى الرَّواح أمنَ اللَّهِ هذا الحُلُم أم من الشَّيطانِ فمن ثمة سُمِّي يوم التَّروِيةِ فلمَّا أمسى رأى مثلَ ذلك فعرفَ أنَّه من اللَّهِ تعالى فمن ثمَّة سمِّي يومَ عرفة ثم رأى مثله في اللَّيلةِ الثَّالثةِ فهمَّ بنحرهِ فسمِّي اليوم يومَ النَّحرِ وقيل إنَّ الملائكةَ حين بشَّرته بغلام حليم قال إذن هو ذبيح الله فلمَّا وُلد وبلغ حدَّ السَّعي معه قيل له أوفِ بنذرك والأظهرُ الأشهرُ أنَّ المخاطَب إسماعيلُ عليه السَّلامُ إذ هُو الذي وُهب إثرَ المُهاجرةِ ولأنَّ البشارة بإسحق بعده معطوفٌ على البشارةِ بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابنُ الذَّبيحين فأحدُهما جدُّه إسماعيلُ عليه السَّلامُ والآخرُ أبُوه عبدُ اللَّهِ"[85].

فالشيء الملاحظ أن أبا السعود ابتعد مطلقا عن القصص الإسرائيلية، ولجأ لتفسير القرآن من خلال اجتهاداته النحوية والبلاغية، بالإضافة إلى السنة المطهرة، وهو المنهج الأصوب في التفسير. ويجمع الباحثون على أن أبا السعود ممن اجتهد في الابتعاد عن القصص الإسرائيلية، يقول محمد أبو شهبة :" من مميزاته خلوه غالبا من القصص الإسرائيلي، وإذا ذكر شيئا منه فإنه يذكره مضعفا له، أو منكرا أو مبطلا، ومبينا منشأه"[86].

• اجتناب الإسرائيليات في قصة أيوب –عليه السلام–.

لعل أكثر مثال يتضح من خلاله إدراك مفسرنا لضرورة اجتناب القصص الإسرائيلية، قصة أيوب –عليه السلام–؛ ففي الوقت الذي استعان فيه المفسرون بالقصص والروايات الإسرائيلية، كابن جرير وابن كثير وابن أبي حاتم والبغوي والسيوطي[87] من كون الشيطان عرج إلى السماء وقال سلطني على أيوب وقال الله سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده، فنزل وجمع جنوده وسلطهم عليهم، بعضهم سلطه على زرعه وبعضه على غنمه وبعضهم على بقره، وحاول الشيطان أن

يوسوس أيوب فاعتصم أيوب فطلب الشيطان من الله أن يسلطه على جسده، فسلطه الله على جسده، فطلب أيوب الشفاء بعد أن ألحت عليه زوجته، فأخذ بيده جبريل وقال اركض هذا مغسل بارد وشراب فشفي أيوب من البلاء.[88] ولو عدنا إلى تفسير أبي السعود نجده يتجنب هذه القصص مطلقا، فركز في تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾[89].على الناحية اللغوية والنحوية:﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ** ﴾ عطفٌ على اذكُر عبدنا داودَ وعدمُ تصديرِ قصَّةِ سليمانَ بهذا العُنوان لكمالِ الاتِّصالِ بينه وبينَ داودَ عليهما السَّلامُ وأيُّوبُ هو ابنُ عِيصَ بنِ إسحاقَ عليهِ السَّلامُ ﴿ **إِذْ نَادَىٰ رَبَّه**﴾ بدلُ اشتمالٍ من عبدَنا وأيُّوبَ عطفُ بيانٍ له "إنّى" بأني "مَسَّنِيَ الشيطان" بفتح ياء مسنى وقرئ بإسكانِها وإسقاطِها "بِنُصْبٍ" أي تعب وقرئ بفتح النُّونِ وبفتحتينِ وبضمَّتينِ للتثقيل "وَعَذَابٍ" أي ألم ووصبٍ يريدُ مرضَه وما كان يُقاسيه من فنونِ الشَّدائدِ وهو المرادُ بالضُّرِّ في قوله إنيِّ مسني الضُّرُّ وهو حكايةٌ لكلامِه الذي ناداهُ به بعبارتِه وإلاَّ لقيلَ أنَّه مسَّه الخ، والإسنادُ إلى الشَّيطان إمَّا لأنَّه تعالَى مسَّه بذلك لما فعل بوسوستِه كما قيل إنَّه أُعجب بكثرةِ مالِه أو استغاثه مظلومٌ فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزُه أو لامتحان صبره فيكون اعترافاً بالذَّنبِ" [90]،فقد اجتنب أبو السعود الإسرائيليات مطلقا وهذا بالاستعانة بآيات قرآنية أخرى، ففسر القرآن بالقرآن لتوضيح المعنى أكثر.

أكمل أبو السعود توضيحه لقصة أيوب – عليه السلام- دون أدنى إشارة إلى ما جاء في القصص الإسرائيلي أو التراث التفسيري اليهودي المسمى "الهاجادا"، بل ارتكز على قدراته المتميزة في اللغة العربية نحوا وبلاغة:"هذا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" فإنَّه أيضاً إمَّا حكايةٌ لما قيل له بعدَ امتثالِه بالأمر ونبوعِ الماءِ أو مقولٌ لقولٍ مقدرٍ معطوفٍ على مقدَّر ينساقُ إليهِ الكلامُ كأنه قيل فضربَها فنبعتْ عينٌ فقلنا له هذا

مغتسلٌ تغتسلُ به وتشربُ منه فيبرأُ ظاهرُك وباطُنك وقيل نبعتْ عينانِ حارَّةٌ للاغتسالِ وباردةٌ للشُّربِ ويأباهُ ظاهرُ النظم الكريمُ وقوله تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ" معطوفٌ على مقدَّرَ مترتبٍ على مقدَّرٍ آخرَ يقتضيه القولُ المقدَّرُ آنفاً كأنَّه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلكَ مابه من ضركما في سورة الأنبياء "[91].

الشيء الملاحظ أن أبا السعود رغم ابتعاده عن القصص الإسرائيلي، لم يهمل الجانب القصصي مع تركيزه على الجوانب النحوية، فقدّم لنا تصورا مكتمل الجوانب عن قصة أيوب –عليه السلام– .

ثانيا: نقد القصص الإسرائيلي والدعوة لاجتنابه.

- **نقد الإسرائيليات في قصة يوسف.**

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[92] فمن الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق العقل ولا النقل، ما ذكر ابن جرير في تفسيره، وصاحب الدر المنثور وغيرهما في تفسير هذه الآية، وقد ذكروا في يوسف – عليه السلام– ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره بالاستناد على بعض المرويات عن ابن عباس [93].

وحين نعود لإرشاد العقل السليم، نجد أن أبا السعود يخاطب العقول السليمة حقا، فيفسر الآية تفسيرا يليق بمكانة النبي يوسف –عليه السلام–، فيقول:﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ** ﴾، "بمخالطته إذِ الهمُّ لا يتعلق بالأعيان أي قصدتْها وعزمت عليها عزماً جازماً لا يلوبها عنه صارفٌ بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليقِ الأبواب ودعوتِه عليه السلام إلى نفسها بقولها هيتَ لك ولعلها قصدت هنالك لأفعال أُخَرَ من بسط يدِها إليه وقصدِ المعانقة وغير ذلك مما يَضْطره عليه السلام إلى الهرب نحوَ الباب والتأكيدُ لدفع ما عسى يُتوهَّم من احتمال إقلاعِها عما

كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر " [94].

والشيء الملاحظ اعتماد مفسرنا على قدراته اللغوية والتحليلية الخاصة وهذه الآلية المنهجية رأينا أنه ضليع فيها، ويكمل بذات المنهج قائلا:﴿**وهمّ بها**﴾ بمخالطتها أي مال إليها بمقتضى الطبيعةِ البشرية وشهوةِ الشباب وقرمه ميلاً جبلياً لا يكادُ يدخُل تحتَ التكليفِ لا أنه قصدها قصداً اختيارياً، ألا يُرى إلى ما سبق من استعصامه المُنْبِئِ عن كمال كراهيتِه له ونفرتِه عنه وحُكمه بعدم إفلاح الظالمين وهل هو إلا تسجيلٌ باستحالة صدور الهمِّ منه عليه السلام تسجيلا محكما وإنما عبر عنه بالهمّ لمجرد وقوعِه في صحبة همِّها في الذكرِ بطريق المشاكلة لا لشَبَهه به كما قيل ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يُلَزّا في قَرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد همّا بالمخالطة أو همّ كلٌّ منهما بالآخر وصُدّر الأولُ بما يقرر وجودَه من التوكيد القسمي وعُقّب الثاني بما يعفو أثرَه من قولهِ عزَّ وجلَّ " [95].

بهذه البراعة اللغوية أحاط أبو السعود بجوانب القصة دون أن يستعين بالقصص الإسرائيلي، وقد فسر قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ بالحجة الدالة على كمال قبحِ الزنى وسوءِ سبيله والمرادُ برؤيته لها كمالُ إيقانِه بها .. "وقد نص أئمةُ الصناعة على أن لولا في أمثالِ هذهِ المواقعِ جارٍ من حيث المعنى لا من حيث الصيغةُ مَجرى التقييدِ للحُكم المطلقِ كما في مثلِ قولِه تعالى إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلهتنا لَوْلاَ أَن صَبْرَنَا عَلَيْهَا فلا يتحقق هناك همٌّ أصلاً وقد جوز أن يكون وهم بها جوابَ لولا جرياً على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهمُّ حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهمَّ بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامِه".

وبعد أن قدم لنا تفسيرا يليق بمقام النبوة، انتقل إلى مرحلة أخرى في التفسير، وهي نقد المنحى التفسيري الذي يعمد إلى رواية ما يمس بعصمة الأنبياء، وقبل أن ينبري للنقد، بيّن مدى اطلاعه على القصص الإسرائيلي، وتجلى من ذلك انتقائيته لهذا القصص الإسرائيلي وفق ضوابط محددة فقال :"هذا وقد فُسّر همُّه عليه السلام بأنه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلسَ الخِتان وبأنه حل تِكّة سراويلِه وقعد بين شُعَبها ورؤيتُه للبرهان بأنه سمع صوتاً إياك وإياها فلم يكتري ثم وثم إلى أن تمثّل له يعقوبُ عليه السلام عاضًّا على أنملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوتُه من أنامله وقيل بدت كفٌّ فيما بينهما ليس فيها عضُدٌ ولا مِعصمٌ مكتوبٌ فيها وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لحافظين كِرَاماً كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها وَلاَ تَقْرَبُواْ الزنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً فلم ينتهِ ثم رأى فيها واتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله فلم يَنْجَع فقال الله عز وجل لجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسفُ أتعملُ عمل يوسف الآية (25) السفهاء وأنت مكتوبٌ في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز "[96]

بعد هذا العرض الذي أحاط بجل الروايات المنسوجة حول قصة يوسف – عليه السلام– ختم أبو السعود كلامه بلهجة قاسية تعنّف من اشتغل بوضع هذه القصص المكذوبة عن الأنبياء، وفي الآن نفسه بيّن إحاطته وتفريقه بين الأساطير والخرافات، وبين القصص الإسرائيلي الذي لا يمس العقيدة ولا عصمة الأنبياء فقال: " وقيل إنْ كلَّ ذلك إلا خرافاتٌ وأباطيلُ تمجُّها الآذانُ وتردُّها العقول والأذهانُ ويلٌ لمن لاكها ولفّقها أو سمعها وصدّقها" .[97]

وقد صدق أبو السعود حين قال بأنها خرافات وأساطير، فحتى التوراة لا تروي مثل هذه الروايات عن يوسف عليه السلام، فقد جاءت القصة في سفر التكوين الإصحاح ،39 وهي لا تختلف كثيرا عن القصة القرآنية، إلا في شيء واحد، وهو أن

امرأة العزيز أمسكت بثوب يوسف خلعه لها، فنادت الخدم وأخبرتهم بأن بعلها جاء برجل عبراني يداعبها، وأن يوسف لما رأى المكان خاليا طلب أن يضاجعها فأبت وصرخت بصوت عظيم، وكان قد خلع ثوبه استعدادا للأمر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه[98].

المطلب الثاني: الاجتناب النسبي للإسرائيليات في التفسير وآلياته

عرفنا أن المنهج الغالب في كتاب "**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**" هو اجتناب القصص الإسرائيلية مطلقا، واستخدام آليات علمية منهجية، كتفسير القرآن بالقرآن أو السنة المطهرة، أو استخدام القدرات الشخصية الخاصة كالنحو والبلاغة وعلم القراءات وغيرها؛ لكن ما وجدناه في هذا التفسير أن أبا السعود استعان في أحيان قليلة ببعض القصص الإسرائيلي، ويشهد العديد من الكتاب أن أبا السعود جد مقل في الاستدلال بالقصص القرآني، يقول محمد هادي معرفة: " فمن مميزات هذا التفسير إقلاله من القصص الإسرائيلية، وإن ذكر منها شيئا فإنه يذكره مضعّفا أو منكرا، ومبيّنا منشأه بطلانه، وذلك كما صنع في قصّة هاروت وماروت، حين فنّد ما جاء حولها من أساطير إسرائيلية ، ولهذا نراه قد صنّف فيها رسالة خاصة وبين فيها جهات ضعفها"[99] وتساءلنا عن آلياته ومعاييره التي استند إليها في انتقاء بعض القصص الإسرائيلي، ووجدنا أنه يحتكم إل آليات خاصة في الترجيح؛ كما أنه استخدم بعض الضوابط والقيود في انتقائه للقصص الإسرائيلي، بالإضافة إلى أنه وفي حالات قليلة جد لا يخضع لضابط محدد في تعامله مع القصص الإسرائيلي، وسنتعرض لهم جميعها بالتفصيل:

أولا: ضوابط وقيود انتقاء القصص الإسرائيلي.

أ- انتقاء القصص الإسرائيلي الذي لا يمس بعصمة الأنبياء:

- **في قصة داود: ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ**

أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[100]؛ يروي أبو السعود احتمالين تفسيريين لهذه الآية الكريمة الخاصة بظن داود – عليه السلام- أنه فتن، فيقول: "وأصلُ القصَّة أنَّ داودَ عليه السَّلامُ رأى امرأةَ رجلٍ يقال له أُوريَّا فمال قلبُه إليها فسأله أنْ يطلِّقها فاستحيى أنْ يردَّه ففعلَ فتزوَّجها وهي أمُ سليمانَ عليه السَّلامُ وكان ذلك جَائزاً في شريعتِه مُعتاداً فيما بين أمَّتِهِ غيرَ مخلَ بالمروءة حيثُ كان يسأل بعضُهم بعضاً أنْ ينزلَ له عن امرأتِه فيتزوَّجها إذا أعجبته. وقد كان الأنصارُ في صدر الإسلامِ يُواسون المهاجرين بمثلِ ذلك من غيرِ نكيرٍ خلا أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لعظم منزلتِه وارتفاع مرتبتِه وعلوِّ شأنه نُبِّه بالتَّمثيل على أنَّه لم يكنْ ينبغي له أنْ يتَعَاطى ما يتعاطاه آحادُ أمَّتِهِ ويسألَ رجلاً ليس له إلاَّ امرأةٌ واحدة أنْ ينزلَ عنها فيتزوَّجها مع كثرة نسائه بل كان يجبُ عليه أنْ يغالبَ هواهُ ويقهرَ نفسَه ويصبرَ على ما امتُحن به"[101].

بعد أن عرض التفسير الذي يراه أقرب للآية مستعينا ببعض القصص الإسرائيلي الذي غربله من بين روايات كثيرة، انبرى لعرض ثم نقد من فسر الآية الكريمة بالنيل من عصمة النبي داود – عليه السلام- فقال :" و**قيل**: لم يكن أوريَّا تزوَّجها بل كان خطَبها ثمَّ خطبها داودُ عليه السَّلامُ فآثر عليه السَّلام أهلها فكان ذنبُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنْ خطبَ على خِطبةِ أخيه المسلمِ. هذا وأمَّا ما يُذكر من أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دخلَ ذاتَ يومٍ محرابَه وأغلق بابَه وجعل يُصلِّي ويقرأُ الزَّبورَ فبينما هو كذلك إذْ جاءَه الشَّيطانُ في صورةِ حمامةٍ من ذهبٍ فمدَّ يده ليأخذَها لابنٍ صغيرٍ له فطارتْ فامتدَّ إليها فطارتْ فوقعت في كُوَّةٍ فتبعها فأبصر امرأةً جميلةً قد نقضت شعرها فغطَّى بدنها وهي امرأةُ أُوريَّا وهو من غُزاة البلقاءِ فكتب إلى أيُّوبَ بن صُوريا وهو صاحبُ

بعثِ البلقاءِ أنِ أبعثْ أُوريَّا وقدِّمُه على التَّابوتِ وكان من يتقدَّم على التَّابوتِ لا يحلُّ له أنْ يرجعَ حتَّى يفتحَ الله علي يديهِ أو يُستشهدَ ففتح الله تعالى على يدِه وسلَم فأمرَ بردِّه مرةً أُخرى وثالثةً حتَّى قُتل وأتاه خبرُ قتلِه فلم يحزنْ كما كان يحزنُ على الشهداء وتزوَّج امرأتَه" [102]؛ ويكمل أبو السعود كلامه منتقدا بشدة من اخترع مثل هذه القصص فقال: "...فإفكٌ مبتَدعٌ مكروهٌ ومكرٌ مخترعٌ بئسما مكروه تمجُّه الأسماعُ وتنفرُ عنه الطِّباعُ ويلٌ لمن ابتدعَه وأشاعَه وتبًّا لَمن اخترعه وأذاعَه ، ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه : مَن حدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السَّلامُ على ما يرويهِ القُصَّاصُ جلدتُه مائةً وستِّين وذلك حدُّ الفريةِ على الأنبياءِ صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم" [103].

ويمكن أن نستنتج أن أبا السعود اشتغل بتنقيح القصص الإسرائيلي ولم يستعن إلا بالقليل منه، وهذا بعد إخضاعه لقيد أساسي هو عدم المساس بمعتقد أو بعصمة الأنبياء.

ب- انتقاء الرواة عند استخدام القصص الإسرائيلية:

الشيء الملاحظ أن أبا السعود يكثر الرواية عن ابن مسعود وابن عباس[104]، وقد ذكر ابن كثير أنَّ ابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ كانا يرويان عن أهل الكتاب؛ ثمَّ قال: ولهذا كان عبد الله بن عمروٍ - رضي الله عنهما- قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدِّث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك... ولكن هذه الأحاديث الإسرائيليَّة تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد[105]؛ وقد كان ابن عباس يرجع إلى من أسلم من أهل الكتاب ويأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في كثير من المواضع، وكان رجوعه إلى أهل الكتاب في دائرة ضيقة تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن، ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية، أو مما لا يقبله العقل ولا يصدقه، فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به.[106]

باستقراء تفسير أبي السعود وجدنا أنه يفضل الروايات التي تعود للصحابة مباشرة ولأن جل تفسيره يستند لهذه الآلية، نفضل الاختصار وذكر قصة واحدة، يتجلى من خلالها حرصه على رواية الإسرائيليات من الصحابة والثقات، يذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[107]، أن السدي ذكر عن **ابن مسعود وابن عباس** وناسٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين أن الله تعالى لما أخرج إبليسَ من الجنة وأسكنها آدمَ بقيَ فيها وحدَه وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ يستأنسُ به ...**ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما** قال بعث الله تعالى جنداً من الملائكة فحملوا آدمَ وحواءَ على سريرٍ من ذهب كما يُحمل الملوك ولباسُهما النور حتى أدخلوهما الجنة ...."[108]

رغم حرص أبي السعود على الرواية من الصحابة الثقات فقد أدرج في تفسيره من روايات الذين يروون عن أهل الكتاب؛ ولكن على قلَّةٍ شديدة جدًّا ومن ذلك لدينا: وهب بن منبِّه: كقوله في تفسير: "**الساهرة**" من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾[109] بأنَّها جبلُ بيت المقدس[110]. ولدينا كعب الأحبار؛ مثلا في الأثر الذي يسأله فيه معاوية رضي الله عنه عن الشمس كيف تغرب؟[111]؛ وفي هذا الصدد يقول محمد حسين الذهبي " كما نلاحظ عليه أنه يروى بعض القصص عن طريق الكلبى عن أبى صالح، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [15] وما بعدها من سورة سبأ: "لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ" ... الآيات إلى آخر القصة، نجده يقول: وأصل قصتهم ما رواه الكلبى عن أبى صالح: أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ، وبينهما أثنى عشر أباً، وهو الذى يقال له "مزيقيا بن ماء السماء"، أخبرته "طريفة" الكاهنة بخراب سد مأرب، وتغريق سيل العرم الجنَّتين.. ويمضى في ذكر روايات أخرى عن رجال آخرين مع العلم أن الكلبى مُتَّهم بالكذب، فقد قال

السيوطي في خاتمة "الدر المنثور" ما نصه: "الكلبي اتهموه بالكذب وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدَّثتكم عن أبي صالح كذب" ولكن نجد أبا السعود، يخلص من تبعة هذه الروايات التي سردها بقوله أخيراً: "والله تعالى أعلم" وهذا يُشعر بأنه يشك في صدقها وصحتها" [112].

فكما سبق وأشرنا أن رواياته الإسرائيلية قليلة وإن وجدت فهي خاضعة لضوابط كثيرة، كأن لا يمس بعصمة الأنبياء، وأما روايته على من اشتهر بالكذب فهي قليلة جدا، لا تؤثر في منحاه العام.

ج- نسبة الرواية لراوي مجهول بعبارات "قيل" و"روي" وغيرهما:

إن المنهج الغالب في سرد القصص الإسرائيلي عند أبي السعود هو إيراد العديد من الروايات، وكما ذكرنا سابقا، قد يرجح إن كان هناك مرجح، وقد يترك الروايات دون ترجيح، ونظرا لكون آلية السد بنسبة القصص لشخص مجهول متكررة بكثرة في تفسير أيس السعود، فسنورد بعض القصص لنتعرف على هذه الآلية بوضوح أكثر.

• **قصة سفينة نوح: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾**[113].يقول أبو السعود في تفسير هذه الآية: " أي بحفظِنا وكلاءتِنا كأنَّ معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلئونه بأعينهم من التعدّي من الكفرة ومن الزَّيغ في الصَّنعةِ وَوَحْيِنَا إليك كيف تصنعُها وتعليمِنا وإلهامِنا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلمْ كيف صنعةُ الفُلك فأَوْحَى الله تعالى إليه أن يصنعَها مثلَ جُؤجُؤ الطائر والأمرُ للوجوب إذ لا سبيلَ إلى صيانة الروح من الغرق إلا به فيجب كوجوبها واللامُ إما للعهد بأن يُحملَ على أن هذا مسوق بوحي الله تعالى إليه عليهِ السلام أنه سيهلكهم بالغرق وينجّيه ومَنْ معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى ووحيِه مِنْ شأنه كيتَ وكيت واسمُه كذا وإما للجنس **قيل** صنعها عليه الصلاة

والسلام في سنتين و**قيل** في أربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجُعلت ثلاثةَ بطونٍ حُمل في البطن الأول الوحوشُ والسباعُ والهوامُّ وفي البطن الأوسطِ الدوابُّ والأنعام وفي البطن الأعلى جنسُ البشر هو ومَنْ معه مع ما يحتاجونَ إليهِ من الزاد وحَمل معه جسد آدم عليه الصلاة والسلام و**قيل** جَعل في الأول الدواب والوحوش وفي الثاني الإنسَ وفي الأعلى الطيرَ **قيل** كان طولها ثلثمائة ذراع وعَرْضُها خمسين ذراعاً وسَمْكُها ثلاثين ذراعاً وقال الحسنُ كان طولُها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع و**قيل** إن الحَواريين قالوا لعيسى عليهِ الصلاةُ والسلامُ لَوْ بعثت لنا رجلاً شهد السفينةَ يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب ... و**قيل** تقديرُه وأخذ يصنع الفلك أو أقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وأيا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعةِ حالاً من ضميره أعني قوله تعالى:﴿ **وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ** ﴾ استهزءوا به لعلمه السفينةَ إما لأنهم ما كانوا يعرِفونها ولا كيفيةَ استعمالِها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخِروا منه وإما لأنه كان يصنعها في برّية بهماءَ في أبعد موضع من الماء وفي وقت عزَّتْه عِزَّةٌ شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوحُ صرتَ نجاراً بعد ما كنت نبياً وقيل لأنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يُنذرهم الغرقَ فلما طال مكثُه فيهم ولم يشاهِدوا منه عيناً ولا أثراً عدّوه من باب المُحال ثم لما رأوا اشتغالَه بأسباب الخلاصِ من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدارُ الجميع إنكارُ أن يكون لعلمه عليه الصلاة والسلام عاقبةٌ حميدةٌ مع ما فيه من تحمل المشاقِّ"[114]

الواضح أنّ أبا السعود استأنس بالقصص الإسرائيلي وأعطى تفاصيل قصة سفينة نوح، لكنه أكثر كما هو موضح في النص من ذكر كلمة **قيل** التي تحدد موقفه من الروايات الإسرائيلية التي لا تمس بعصمة الأنبياء، فهو لا يكذبها وفي نفس الوقت يحترز كثيرا من إيرادها في تفسيره، وإن أوردها كما هو الحال في هذه القصة، فيحدد

موضوعيته بأنه كلام قيل أو روي، وهو يحتمل الصدق أو الكذب، ولا يمكن له الجزم بصدقه، لعدم توافر وسائل الترجيح لديه، فلذا يورد العديد من الروايات دون أن يميل أو يتبنى إحداها.

• **قصة ضيوف لوط: ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾**[115].

قال أبو السعود: "لا يُمدون إليه أيديَهم للأكل نَكِرَهُمْ" أي أنكرهم يقال نكِرَه وأنكره واستنكره بمعنى وإنما أنكرهم لأنهم كانوا إذا نزلَ بهم ضيفٌ ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجيء بخير وقد **روي** أنهم كانوا ينكُتون بقداح كانت في أيديهم في اللحم ولا تصل إليه أيديهم وهذا الإنكار منه عليه الصلاة والسلام راجعٌ إلى فعلهم المذكور وأما إنكارُه المتعلقُ بأنفسهم فلا تعلقَ له برؤية عدم أكلِهم وإنما وقع ذلك عند رؤيتِه لهم لعدم كونِهم من جنس ما كان يعهده من الناس ألا يُرى إلى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام قَوْمٌ مُّنكَرُونَ.[116]

وهذه الآلية هي الأكثر استخداما في تفسير أبي السعود، إذ يعمد حال تفسير الأسباب والعلل إلى الاستدلال بالقصص الإسرائيلي الذي لا يمس عقيدة ولا عصمة الأنبياء، ثم يبين موضوعيته وموقفه منها من خلال كلمة" **روي**" فهو يفسر بتلك القصص استئناسا ولا يعتمد عليها، بل على قدراته التحليلية والتركيبة لآيات الذكر الحكيم؛ كما أنه لا يسترسل في ذكر القصص الإسرائيلي، كما هو شائع في بعض التفاسير.

• **قصة موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**[117]؛ فسر قوله تعالى "فاقتلوا أَنفُسَكُمْ" بقوله: " تماماً لتوبتكم

بالبَخْع أو بقطع الشهوات و**قيل** أُمروا أن يقتُلَ بعضُهم بعضاً وقيل أُمر من لم يعبد العجل بقتل مَنْ عَبَده **يروى** أن الرجلَ كان يرى قريبَه فلم يقدِرْ على المُضِيِّ لأمر الله تعالى فأرسل الله ضَبابةً وسحابة سوداءَ لا يتباصَرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارونُ عليهما السَّلامُ فكُشفت السحابةُ ونزلت التوبةُ وكانت القتلى سبعين ألفاً والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب[118]، وهنا نلاحظ أن أبا السعود لا يرجح ويكتفي بذكر مختلف الروايات الإسرائيلية.

يقول محمد حسين الذهبي عن أبي السعود بأنه"مُقِلٌ في سرد الإسرائيليات، غير مُولع بذكرها، وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بها، والقطع بصحتها، بل يُصَدِّر ذكر الرواية بقوله: روى، أو قيل، مما يُشعر بضعفها، وإن كان لا يُعَقِّب عليها بعد ذلك، ولعله يكتفى بهذه الإشارة.فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية[35] من سورة النمل: ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾، يقول: رُوى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهم الأساور والأطواق ... إلى آخر ما ذكره من القصة العجيبة الغريبة، ومع ذلك فلم يُعَقِّب عليها ولا بكلمة واحدة، ولعله اكتفى – كما قلت – بما يشير إليه لفظ "رُوى" من عدم صحة ما ذكره[119].

ثانيا: آليات ترجيح الروايات الإسرائيلية.

استفاد أبو السعود من تفاسير عديدة، لكنه في مجال المنقول لم يكن مرددا فقط للروايات، فقد برزت شخصيته العلمية بما لها من معارف متنوعة من خلال توظيفه للروايات والتعامل معها على المستوى النقدي. فإن كانت المرويات لا تطرح مشكلا معينا بالنسبة للتفسير نجده يعرضها دون إبداء رأي محدد- وإن كان الترجيح هو الغالب على تصرفه-، غير أنه في أحيان أخرى يتعامل مع الروايات انطلاقا من معايير من شأنها أن تعكس شخصيته الحقيقية في مضمار فرز الآراء وترجيحها بالرد أو

القبول [120].

ـ عدم ترجيح الروايات الإسرائيلية مطلقا:

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[121] ففي تفسيره لهذه الآية قال: "اختلف في وقت خلقِ زوجِه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناسٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين أن الله تعالى لما أخرج إبليسَ من الجنة وأسكنها آدمَ بقيَ فيها وحدَه وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ يستأنسُ به فألقى الله تعالى عليه النومَ ثم أخذ ضِلْعاً من جانبه الأيسرِ ووضع مكانه لحماً وخلق حواءَ منه فلما استيقظ وجدها عند رأسه قاعدةً فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقتِ قالت لتسكُنَ إلي فقالت الملائكةُ تجْربةً لعلمه من هذه قال امرأة قالوا لم سُمِّيت امرأةً قال لأنها من المَرءِ أُخِذَت فقالوا ما اسمُها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لأنها خلقت من شيء حيّ ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جنداً من الملائكة فحملوا آدمَ وحواءَ على سريرٍ من ذهب كما يُحمل الملوك ولباسُهما النور حتى أدخلوهما الجنة"[122].

بعد عرض أبي السعود للروايات المختلفة حول خلق حواء ساق الروايات حول مكان الجنة، إذ قال " وهذا كما ترَى يدلُّ على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دارُ الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنةٌ بأرض فلسطين أو بين فارسَ وكَرْمان خلقها الله تعالى امتحاناً لآدمَ عليه السلام وحُمل الإهباطُ على النقل منهَا إلى أرضِ الهندِ كما في قوله تعالى اهبطوا مِصْرًا لما أن خلقه عليه السلام كان في الأرض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعُه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم ولأنها لو كانت دارَ الخلد لما دخلها إبليسُ وقيل إنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبِطوا ثم إن الهباطَ[123] الأولَ كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى

الأرض **وقيل الكلُّ ممكنٌ**"[124]. وبعد عرضه للأدلة النقلية المختلفة بين موقفه بقوله: "**والأدلةُ النقلية متعارضةٌ فوجب التوقفُ وتركُ القطع**"[125] وهذا الموقف كما يذكر الباحث شاوش: " موقف موضوعي من الرجل غير أنه في بعض الأحيان وحينما يتبين له وجه الترجيح يشير إلى الأظهر والأشهر "[126].

لكن البعض يرى أن عدم تعقيب وترجيح أبي السعود لبعض الإسرائيليات التي لم تخل بعصمة الأنبياء، ليس من الموضوعية العلمية، يقول محمد بن محمد أبو شهبة: "...ذكر بعض الإسرائيليات التي لم تخل بعصمة الأنبياء، ولكن فيها غرابة، ولم يعقب عليها، وذلك ما ذكره في الحجر الذي ضربه سيدنا موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عرة عينا، وما ذكره في صفة يأجوج ومأجوج، وأن طول الواحد منهم ستمائة ذراع، وصفة إرم ذات العماد، مما هو من خرافات بني إسرائيل، ومما يؤخذ عليه ذكره متابعا للزمخشري والبيضاوي الأحاديث المروية في فضائل القرآن سورة سورة، وهي موضوعة باتفق أهل العلم بالحديث"[127] .

والحقيقة ومن خلال تتبعنا لمنهج أبي السعود، وجدنا أنه يبتعد عن الترجيح حين تتعارض وتتداخل الأدلة المختلفة، وقد صرح بهذا كما سبق وذكرنا فقال: "**والأدلةُ النقلية متعارضةٌ فوجب التوقفُ وتركُ القطع**" [128]

1- **ترجيح رواية من الروايات:** يعمد أبو السعود إلى التفسير عن طريق ترجيح أحد الآراء أو ما يراه من خلال استقرائه للآيات القرآنية مناسبا للمعنى، ففي تفسيره لمعنى أمي في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[129]؛ قال "اختُلف في نسبته فقيل إلى الأم بمعنى أنه شبيهٌ بها في الجهل بالكتابة والقراءة فإنهما ليستا من شؤون النساء بل من خِلال الرجال أو

بمعنى أنه على الحالة التي ولدتْه أمُه في الخلوِّ عن العلم والكتابة وقيل إلى الأُمّة بمعنى أنه باقٍ على سذاجتها خالٍ عن معرفة الأشياء كقولهم عامّي أي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك أن المراد بهم نصارى العربِ وقيل هم قومٌ من أهل الكتاب رُفع كتابُهم لذنوب ارتكبوها فصاروا أمّيين وعَنْ عليَ رضيَ الله تعالى عنه هم المجوسُ"[130]، وبعد عرضه لروايات المختلفة يقول أبو السعود: " والحقُّ الذي لا محيدَ عنه أنهم جَهلةُ اليهودِ والجملةُ مستأنفةٌ مَسوقةٌ لبيان قبائحِهم إثرَ بيانِ شنائع الطوائفِ السالفة" [131] ؛ ويبدو هنا أن أبا السعود تحقق جازما وخرج برأيه الخاص بعد أن عرض آراء الرواة المختلفة.

ويبرز لنا هذا المنهج أكثر في قصة سليمان عليه السلام، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[132]؛ قال أبو السعود في تفسير هذه الآية: "وَمَاأُنزِلَ عَلَى الملكين" عطفٌ على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل عليهما، والمرادُ بهما واحد، والعطفُ لتغاير الاعتبارِ أو هو نوعٌ أقوى منه أو على ما تتلو وما بينهما اعتراضٌ أي واتَّبعوا ما أنزل الخ وهما ملكانِ أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله للناس كما ابتليَ قومُ طالوتَ بالنهر أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لئلا يغترَّ به الناسُ أو لأن السحرَة كثُرتْ في ذلك الزمان واستنبطتْ أبواباً غريبةً من السحر وكانوا يدّعون النبوةَ فبعث الله تعالى هذين الملكينِ ليعلّما الناسَ أبوابَ السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين وإظهارِ أمرِهم على الناس . وأما ما يُحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأَوْا ما يصعَد من ذنوب بني آدمَ

عيّروهم، وقالوا لله سبحانه: هؤلاء الذين اخترتَهم لخلافة الأرضِ يعصونك فيها فقال عز وجل: لو ركّبتُ فيكم ما ركبتُ فيهم لعصيتموني، قالوا : سبحانك ما ينبغي لنا أن نعصيَك قال تعالى: فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروتَ وماروتَ وكانا من أصلحهم وأعبدِهم فأُهبطا إلى الأرض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوة ليقضيا بين الناس نهاراً ويعرُجا إلى السماء مساءً وقد نُهيا عن الإشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهاراً فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصَعِدا إلى السماء فاختصمت إليهما ذاتَ يوم امرأةٌ من أجمل النساءِ تسمّى «زهرةَ» وكانت من لَخْم وقيل: كانت من أهل فارسَ ملكةً في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتُتنا بها فراوداها عن نفسها فأبت فألحا عليها فقالت: لا إلا أن تقضيا لي على خصمي، ففعلا، ثم سألاها ما سألا، فقالت: لا إلا أن تقتُلاه ففعلا، ثم سألاها ما سألا فقالت: لا إلا أن تشربا الخمرَ وتسجدا للصَّنم ففعلا كلاً من ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها ما سألا فقالت: لا إلا أن تعلماني ما تصعَدانِ به إلى السماء فعلماها الاسمَ الأعظم فدعَتْ به وصعِدَتْ إلى السماء فمسخها سبحانه كوكباً فهمّا بالعروج حسب عادتهما فلم تطِعْهما أجنحتُهما فعلما ما حل بهما، وكانا في عهد إدريس عليه السلام فالتجأ إليه ليشفَعَ لهما ففعل فخيّرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الأول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابلَ قيل: معلقان بشعورهما و**قيل**: منكوسان يُضربان بسياطِ الحديد إلى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما أن مدارَه روايةُ اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقلِ، ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشادُ اللبيب الأريبِ بالترغيب والترهيب[133].

نلاحظ أنَّ أبا السعود يختار تفسيرًا يجنح للرواية الصحيحة، بعيدًا عن رواية أهل الكتاب؛ ولا يمنعه ذلك من إيراد أصحِّ ما رآه في تلك الروايات، لما يجده من

تخريجات سليمة لتلك الرواية؛ ويقول في نقلها: "**وقيل**" ولنتَّخذ مثالًا من قول الله تعالى في سورة ص: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ** ﴾[134]؛أظهرُ ما قيل في فتنتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ما رُوي مرفُوعاً أنَّه قال : « لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة تأتِي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ الله تعالى ولم يقُل إنْ شاءَ الله تعالى فطافَ عليهنَّ فلم تحمل إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشقِّ رجلٍ ، والذي نفسِي بيدِه لو قالَ إنْ شاء الله لجاهدُوا في سبيلِ الله فُرساناً أجمعون »[135] وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما؛ فهو كافٍ في فهم المراد. ولذلك لما حكى أبو السعود قولًا آخر من الإسرائيليَّات قال: و**قيل**: وُلد له ابنٌ فاجتمعتِ الشَّياطينُ على قتلِه فعلم ذلكَ فكانَ يغذُوه في السَّحابِ فَما شعرَ به إلى أنْ أُلقي عَلَى كرسيِّه ميتاً فتنبَّه لخطئِه حيثُ لَمَ يتوكَّل على الله عزَّ وعَلاَ. و**قيل** إنَّه غَزَا صيدونَ من الجزائرِ فقتلَ ملكَها وأصابَ بنْتاً له تسمَّى جرادةَ من أحسنِ النَّاسِ فاصطفَاها لنفسِه وأسلمتْ وأحبَّها وكان لا يرقأُ دمعُها جَزَعاً على أبيها فأمرَ الشَّياطينَ فمثَّلوا لها صورتَه وكانت تغدُو إليها وتروحُ مع ولائدِها يسجُدن لها كعادتهنَّ في مُلكِه فأخبرهَ آصفُ بذلك فكسرَ الصُّورةَ وعاقَب المرأةَ ثم خرج وحدَهُ إلى فَلاَة وفُرش له الرَّمادُ فجلس عليه تائباً إلى الله تعالى باكياً متضرِّعاً وكانتْ له أمُّ ولدٍ يُقال لها أمينةُ إذا دخلَ للطَّهارةِ أو لإصابةِ امرأةٍ يعطيها خاتمه وكان ملكُه فيه فأعطاها يوماً فتمثَّل لها بصورتِه شيطانٌ اسمه صخر وأخذ الخاتمَ فتختَّم به وجلس على كُرسِّيه فاجتمعَ عليه الخلقُ ونفَّذ حكمَه في كلِّ شيءٍ إلاَّ في نسائِه وغيَّر سليمانَ عن هيئتِه فأتى أمينةَ لطلبِ الخاتمِ فأنكرتْهُ وطردتْهُ فعرفَ أنَّ الخطيئةَ قد أدركتْهُ فكان يدورُ على البيوتِ يتكفَّفُ وإذا قال أنَا سليمانُ حثَوا عليه التُّرابَ وسبُّوه ثم عمد إلى السَّماكين ينقلُ لهم السَّمك فيعطونَه كلَّ يومٍ سمكتينِ فمكثَ على ذلك أربعينَ صباحاً عددَ ما عُبد الوثنُ في بيتِه فأنكر آصفُ وعظماءُ بني إسرائيلَ حكمَ الشَّيطانِ ثم طارَ اللعينُ وقذفَ الخاتمَ في البحرِ فابتلعتْهُ سمكةٌ فوقعتْ في يدِ سليمانَ

فبقرَ بطنَها فإذَا هُو بالخاتمِ فتختَّم به وخرَّ ساجداً وعادَ إليه ملكه وجاب صخرةً لصخرٍ فجعلَه فيها وسدَّ عليه بأُخرى ثم أوثَقهما بالحديدِ والرَّصاص وقذفه في البحرِ وعلى هذا[136].

اختار أبو سعود كعادته أقوى الإسرائيليَّات لعدم وجود مانع في تصديقها عقديًّا؛ ولذلك قال: فالجسدُ عبارةٌ عن صخرٍ سمِّي به وهو جسمٌ لا رُوحَ فيه لأنَّه تمثَّل بما لم يكن كذلكَ والخطيئةُ تغافلُه عليه الصَّلاةُ السَّلام عن حالِ أهلِه لأنَّ اتِّخاذَ التَّماثيلِ لم يكُن محظُوراً حينئذٍ ، وسجودُ الصُّورةِ بغيرِ علمٍ منه لا يضرُّه[137].

2- **رفض الروايات:** مثال ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[138]، إذ قال: "والموتُ عندَ أصحابِنَا صفةٌ وجُوديةٌ مضادةٌ للحياةِ وأمَّا ما رُوي عن ابنِ عباس رضي الله عنهُمَا منْ أنَّهُ تعالَى خلقَ الموتُ في صُورةِ كبشٍ أملحَ لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ رائحتَهَا شيء إلا حي وخلقَ الحياةَ في صورةِ فرسِ بَلقاءَ لا تمرُّ بشيءٍ ولا يجدُ رائحتَهَا شيء إلا حي فكلامٌ واردٌ على منهاج التمثيل والتصويرِ وقيلَ هو عدمُ الحياةِ فمعنَى خلقِه حينئذٍ تقديرُهُ أو إزالةُ الحياةِ وأيًّا ما كانَ فالأقربُ أنَّ المرادَ بهِ الموتُ الطارئُ وبالحياةِ ما قبلَهُ وما بعدَهُ"[139]، ويرى الباحث العربي شاوش أن سبب رفضه للرواية هو الانتصار لمذهبه العقدي فقال: " وقد يكون مذهب أصحابه هو المقياس أحيانا في رفض الروايات"[140] .

خاتمة ونتائج:

بعد عرضنا لآليات أبي السعود أفندي التفسيرية يمكن أن نستخلص النتائج الآتية

• توصلنا من خلال بحث الآليات المنهجية لأبي السعود أفندي في تفسيره للقرآن الكريم إلى كونه انتهج منهجين أساسيين، منهج اجتناب الإسرائيليات مطلقا، وهو

منهجه الأساسي الذي سار به في جل تفسيراته للقصص القرآني، كما لجأ إلى منهج آخر " **المنهج الاجتناب النسبي للقصص القرآن**"، ووظفه في عدد محدود من الآيات القصصية القرآنية، وكان حريصا على توظيف العديد من الآليات التي تتناسب وكل منهج.

• اختار أبو السعود **منهج اجتناب القصص الإسرائيلية مطلقا**، وهذا هو نهجه الأساسي في التفسير، ووقد أدى تقيده بهذا المنهج إلى إطلاقه العنان لقدراته الإبداعية في التفسير، لهذا وظف الكثير من الآليات ليثبت إمكانية الاستغناء مطلقا عن القصص الإسرائيلي، فكان حريصا على التفسير وفق الشروط العلمية المتعارف عليها في علم التفسير، ففسر القرآن بالقرآن، وفسّر القرآن بالسنة المطهرة، كما اجتهد في تفسير النصوص القصصية وفق خلفيته العلمية المثقلة بالمعارف اللغوية والنحوية والبلاغية، وهذه الآلية ساعدته كثيرا في تجنب الإسرائيليات. وقد انتقد من يضيف هذا القصص في تفاسيره وينال من عصمة الأنبياء.

• كما اختار **اجتناب الإسرائيليات بشكل نسبي**، وهذا المنهج حاول الابتعاد عنه قدر الإمكان، فكان جد مقل في ذكره للإسرائيليات وقد انتقى بعض القصص التي لا تمس بجوهر الدين ولا عصمة الأنبياء، ومع ذلك حرص على أن يسندها للرواة مجهولين، كما حرص على ذكر الأسانيد في روايته القصص الإسرائيلية، وأكثر من الرواية عن لأبي السعود وابن عباس، ورغم إقلاله من الإسرائيليات، تحاشي ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة.

• يمكننا القول أن أبي السعود هو من المفسرين القلة الذين تعاملوا بحذر شديد مع الروايات الإسرائيلية؛ ونتمنى أن تتجه عناية الباحثين إلى التركيز على إبراز الجهود التفسيرية المنقحة من التراث الإسرائيلي؛ لننقح تراثنا الفكري من أي دخيل من شأنه أن يمس بروح وجوهر ديننا الحنيف.

الحواشي والإحالات:

[1] محمد هادي معرفة: **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب** ،ط2،(الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية، 1426ه)،ج2،ص895.

[2] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، تصحيح تعليق: محمد بدر الدين أبو فراس النعاني، (القاهرة :دار الكتاب الإسلامي)، ص81.

[3] عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان: **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي (898-982/ 1493-1574م)**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات؛ العدد الثاني والعشرون، شباط 2011، ص265.

[4] إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1951)، ج2، ص 253.

[5] محمد صديق خان الفنوجي البخاري: **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**،(قطر:وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،2007)،ص367. ومحمد بن علي الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، ط1، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1348هـ)، ص261.

[6] إسماعيل بن محمد أمين البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج2، ص 253.

[7] يذكر أنه ولد في 19 صفر سنة 896هـ، انظر؛ محي الدين بن عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي: **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ)، ج1، ص 215.

[8] طاشكبري زادة : **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1975)، ص 440.

[9] طاشكبري زادة : **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ص 440.**

[10] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي:**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص82.وانظر أيضا: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج2، ص 253.

[11] محي الدين العيدروسي: **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص 215.

[12] طاشكبري زادة: **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ص440.

[13] المصدر نفسه، ص440.

[14] عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان: **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي**، ص267.

[15] طاشكبري زادة: **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ص440- 441.

[16] محمد بن علي الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، ص261؛ محمد هادي معرفة : **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب**، ج2،ص895؛ أبو الحسن اللكنوي المهندي :**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص82؛ محمد صديق خان الفنوجي البخاري : **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، ص367.

[17] محمد صديق خان الفنوجي البخاري: **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، ص367.

[18] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي:**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص82.

[19] طاشكبري زادة: **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**، ص445.

[20] أطلق على أبي السعود لقب شيخ الإسلام، وهذا اللقب عرف وفقا لقانون السلطان محمد الثاني (فاتح قانون نامة) الذي صدر بعد فتح إستنبول خلال الفترة (858هـ/ 1453- 1453/1481) وبدأ هذا اللقب بعد ذلك يأخذ مكانه حيت أصبح في القرن 10هـ/16م يطلق على رئيس المشيخة أو على رئيس الشؤون الشرعية والدينية في الدولة العثمانية؛ واستمر الحفاظ على مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، الذي كان مرجعا أساسيا عاليا في القرارات والمسائل الدينية، حتى ألغيت هذه المؤسسة سنة 1922م. (عليان الجالودي (محررا): **التحولات الفكرية في العالم الإسلامي – أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر هجري –**، (مكتب الأردن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2014م)، ص563؛ سهيل صابان: **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000)،ص 141.)

[21] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص81.

[22] محمد بن علي الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، ص261

[23] محمد هادي معرفة : **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب**، ج2، ص895.

[24] عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان: **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي**، ص277.

[25] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي:**الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص81.

[26] عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان: **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي**، 275-276.

[27] طاشكبري زادة : **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم،ص ؛** أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي : **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص82؛ محمد بن علي الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**،ص261؛ محمد هادي معرفة : **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب** ، ج2،ص85؛

[28] نجم الدين بن محمد بن محمد الغزي: **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق: خليلي المنصور،ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، ج3، ص33.

[29] " فِي شهر جُمَادَى الآخر سنة اثْنَيْنِ وَخمسين توفّي الشَّيْخ الإمَام والحبر لهمام الْعَلامَة أَبُو السُّعُود مُحَمَّد بن مصطفى بن عماد الاسكليبي نِسْبَة إِلَى أسكليب قَصَبَة فِي أماسية الرُّومِي" **(** محي الدين بن عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي: **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص 215.)

[30] محمد صديق خان الفنوجي البخاري : **التّاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**، ص367؛محمد بن علي الشوكاني: **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، ص261

[31] مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (الشهير بالملا كاتب الجلبي): **كشف الظنون عن أسامي الكتب**

والفنون، (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج1، ص65.

[32] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: دار الحديث، 2005)، ج1، ص 296.

[33] محمد هادي معرفة: **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب**، ج2،ص895.

[34] أبو الحسن محمد عبد الحي اللكنوي المهندي: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ص82.

[35] علي شواخ إسحاق: **معجم مصنفات القرآن الكريم**، ط1، (الرياض: دار الرفاعى، 1984)، ج2 ص.108

[36] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: دار الحديث، 2005)، ج1، ص 296.

[37] أبو السعود أفندي، **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**،ج1، ص 4-5.

[38] إبراهيم عبد الله رفيدة: **النحو وكتب التفسير**، ط3، (بنغازي، ليبيا: الدار الجماهيرية، 1990)، ص987.

[39] المرجع نفسه، ص987.

[40] إبراهيم عبد الله رفيدة: **النحو وكتب التفسير، ص988.**

[41] المرجع نفسه، 990.

[42]محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: دار الحديث، 2005)، ج1، ص 298.

[43] محمد بن عبد الرحمن المغراوي:**المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات**،ط1، (بيروت: مؤسسة الرسالة،2000)، ص1234.

[44] المرجع نفسه، ص1234.

[45] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص143-144.

[46] فريد بن عبد العزيز الزامل السليم: **منهج أبي السعود في تفسيره من خلال ما كتب عنه –عرض ومقارنة–**، مجلة حكمة، جامعة القصيم، جمادي الثانية، 1427هـ، عدد 33، ص409.

[47] العربي شاوش: **تفسير أبي السعود طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات**، مجلة دار الحيث الحسنية، عدد 15، 1418-1319 هـ، ص225، استرجع يوم: 05سبتمبر 2017. عن الرابط التالي: https://ia601600.us.archive.org/27/items/adel-Quraan2-3500-x/Quraan05632.pdf

[48] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص143-144.

[49] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج1، ص 300.

[50] المرجع نفسه، ج1، ص 289.

[51] العربي شاوش: **تفسير أبي السعود طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات**، مجلة دار الحيث الحسنية، عدد 15، 1418-1319 هـ، ص204-205.

[52] جمال الدين محمد بم مكرم ابن منظور: **لسان العرب**، (القاهرة: مطبعة بولاق، 711هـ)، ج6، ص361.

[53] أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، (بيروت/ دمسق: دار القلم/ الدار الشامية، 1412هـ)، ج1، ص636.

[54] محمد هادي معرفة: **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب**،ط2 ، (الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ،1426هـ)، ص17-18.

[55] محمد حسين الذهبي: **الإسرائيليات في التفسير والحديث**،ط4، (القاهرة: مكتبة وهبة، 1990)، **ص 13.**

[56] المائدة: 78.

[57] **Dictionnaire Universel Francois Et Latin**,Tome 4, (Paris : compagnie des libraires, 1752), P1601

[58] Jean Baptiste Glaire : **Dictionnaire universel des sciences ecclésiastiques** ,Toma 1, (Paris : Librairie poussielgue frères ,1868) **P1101**

[59] رمزي نعناعة: **الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير**، ط1، (دمشق: دار القلم؛ بيروت: 1970)، ص 73.

[60] محمد حسين الذهبي: **الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص13-14.**

[61] المرجع نفسه**، ص 15.**

[62] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون،** ج1، ص147.

[63] محمد مسلم آل جعفر، محي هلال سرحان: **مناهج المفسرين**، ط1، (دار المعرفة، 1980)، ص79-80.

[64] أبو حيان محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ج1، ص13.

[65] محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ط4، (القاهرة: مكتبة السنة، 1408 هـ)، ص73.

[66] عبد القادر محمد الحسين: **تمييز الدخيل في تفسير القرآن الكريم**، مجلة جامعة دمشق الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد 3، سنة 2013، ص348.

[67] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي: **مقدمة في أصول التفسير**، (بيروت: دار المكتبة، 1980)، ص42.

[68] عبد القادر محمد الحسين: **تمييز الدخيل في تفسير القرآن الكريم،** ص 349.

[69] الأنبياء: 51.

[70] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: **تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)**، تحقيق: محمد شمس الدين، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ)، ج5، ص 305.

[71] أبو السعود أفندي:**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج6، 72.**

[72] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم،** ج5، ص 305.

[73] البقرة: 258..

[74] ابن كثير، ج1، ص525.

[75] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (دار الهجرة، 2001)، ج4،573.

[76] أبو السعود، ج1، ص 251.

[77] فسرها البيضاوي بقوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ" فِي رَبِّهِ تعجيب من محاجة نمرود وحماقته. أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ لأن آتاه أي أبطره إيتاء الملك وحمله على المحاجة، أو حاج لأجله شكراً له على طريقة العكس كقولك عاديتني لأني أحسنت إليك، أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك الكافر من المعتزلة.إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ ظرف ل «حَاجَّ» ، أو بدل من أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ على الوجه الثاني. رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ بخلق الحياة والموت في الأجساد. وقرأ حمزة «رب» بحذف الياء. قالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ بالعفو عن القتل والقتل. وقرأ نافع «أنا» بلا ألف. ... وقرئ «فَبُهِتَ» أي فغلب إبراهيمُ الكافرَ. وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ". (ناصر الدين بن محمد الشيرازي البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 ه)، ج1، ص155).

[78] أَلَمْ تَرَ تعجيب من محاجة نمرود في اللَّه وكفره به أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ متعلق بحاج على وجهين : أحدهما حاجّ لأن آتاه اللَّه الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتوّ فحاجّ لذلك، أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه اللَّه الملك، فكأن المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان. ونحوه قوله تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ .والثاني: حاجّ وقت أن آتاه اللَّه الملك. فان قلت: كيف جاز أن يؤتى اللَّه الملك الكافر؟ " (جار الله الزمخشري: **الكشاف** ، ط3، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407ه)، ج1، ص305-306.)

[79] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج1، ص256.

[80] المرجع نفسه، ص401.

[81] الصافات: 99-113.

[82] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص253.**

[83] سفر التكوين: إصحاح 22: فقرة 2.

[84] عبد الحميد الفراهي: **الرأي الصحيح في من هو الذَّبيح**، (دمشق: دار القلم)، ص109.

[85] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج7، ص200.

[86] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص144.

[87] المرجع نفسه،ص276.

[88] المرجع نفسه، ص276-277.

[89] سورة ص: 41-42.

[90] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج7، ص 228

[91] المصدر نفسه،ج7، 229.

[92] يوسف: 24.

[93] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص220.

[94] أبو السعود: **أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج،4، ص266

[95] المصدر نفسه، ج،4، ص266

[96] المصدر نفسه، ج،4، ص266

[97] المصدر نفسه، ج،4، ص267.

[98] عبد الوهاب النجار: **قصص الأنبياء**، ص 123.

[99] محمد هادي معرفة : **التفسير والمفسرون في ثوب القشيب**، ج2،ص896.

[100] سورة ص: 23-24.

[101] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج5، ص 472.

[102] المصدر نفسه، ج5، ص 472.

[103] المصدر نفسه، ج5، ص 472.

[104] تناول الكاتب محمد حسين الذهبي بالتفصيل الرواية عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن الشبه المثارة حولها ورد عليها، ولا يسعنا المجال للوقوف عندها، يرجى العودة إلى **التفسير والمفسرن**،ج1، ص 61-83.

[105] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**،ج1، ص8.

[106] محمد حسين الذهبي: **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، ص60.

[107] البقرة: 35.

[108] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص90.

[109] النَّازعات: 14.

[110] أبو السعود أفندي: المصدر السابق، ج6، ص449.

[111] المصدر نفسه، ج4، ص285).

[112] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج1، ص 298-299.

[113] هود: 38.

[114] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج4، ص 206

[115] هود: 70.

[116] المصدر نفسه، ج4، ص 224.

[117] البقرة: 54.

[118] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص 102.

[119] محمد حسين الذهبي: **التفسير والمفسرون**، ج1، 298.

[120] العربي شاوش: **تفسير أبي السعود طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات**، ص 201.

[121] البقرة: 35.

[122] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص 90.

[123] الشيء الملاحظ أن رواية خلق حواء توافق تماما ما جاء في التوراة : " **فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت**" (سفر التكوين: الإصحاح2، فقرة 21-23).

[124] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص 90.

[125] المصدر نفسه، ص90.

[126] العربي شاوش: **تفسير أبي السعود طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات، ص201.**

[127] محمد بن محمد أبو شهبة: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، ص 144.

[128] المصدر نفسه، ص90.

[129] آل عمران: 78.

[130] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص 119.

[131] المصدر نفسه، ج1، ص 119.

[132] البقرة: 102.

[133] أبو السعود أفندي: **إرشاد العقل السليم لمزايا القرآن الكريم**، ج1، ص173.

[134] سورة ص: 34.

[135] أبو السعود أفندي: **المصدر السابق**، ج5، ص475.

[136] المصدر نفسه، ج5، ص478.

[137] تفسير أبي السعود ، ج5، ص478.

[138] الملك: 2.

[139] المصدر نفسه، ج9، ص2.

[140] العربي شاوش: **تفسير أبي السعود طريقته في العمل بالرواية ومنهجه في توظيف القراءات**، ص 203.

Methodological Mechanisms of Abu Saoud Afandi To avoid the Isra'iliyyat in the interpretation of the Quran

Dr. Chekireb Assia
Emir Abdelkader University of Islamic Sciences
cheki4as@yahoo.fr

Abstract

The Jewish stories that intersect with some of the Qur'anic stories after the Prophet's mission has been spread as a result of the Jewish presence in Medina, Which led to their circulation and circulation widely, This has influenced the methods of some interpretations based on Israeli narratives, They used it to talk about the prophets' parentage, their lives and their historical, social and religious conditions.

One of the pioneers of the Ottoman school, Abu SaoudAfandi distinguished himself by a careful approach and many mechanisms in interpreting the stories of the prophets, and he stayed away from ruminating and repeating the biblical stories in the interpretation. To what extent did Abu al-Saud get rid of the biblical heritage in his interpretation of the Holy Quran? And what are his methodological mechanisms to avoid Isra'iliyyat in his interpretations **"Guidance of the Pure Mind to the Holly Quran Advantages"??**

The present Research aims to open a scientific angle that has not been studied before, as far as we know, and we have not found a scientific or academic research that deal with Isra'illiyyat at abu Saoud, There is no doubt that the Ottoman school of interpretation is full of different explanatory models, We wanted to overlook a scientific figure who left his mark in the science of interpretation to learn about its methodological mechanisms in avoiding Jewish-Israeli narratives in interpreting Koranic texts, especially Quranic stories.

Keywords:

Abu Saoud Afandi -Isra'iliyyat – interpretation - Methodological Mechanisms – Quran.